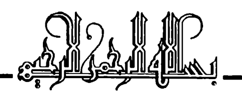


فيض الحرمين في شرح منظومة الثقلين



علي نظامي پور الهمداني



فيض الحرمين
في شرح منظومة الثقلين



علي نظامي‌پور الهمداني

نظامي پور الهمداني، علي، ١٣٢٦ ـ .
فيض الحرمين في شرح منظومة الثقلين / علي نظامي‌پور الهمداني . ـ مشهد : مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٣٩٢ .
١٤٤ ص. ISBN 978-964-971-764-7
فيپا.
١. قرآن ـ بررسی و شناخت شعر. ٢. شعر عربی ـ ايران ـ قرن ١۴ ق.
٣. شعر عربی ـ تاريخ و نقد. الـف. بنيـاد پژوهشـهای اسـلامی.
ب. عنوان.
BP ۶۵ / ۴ / ن ۵۶۴ ف ۹۱۳۹۲ ۲۹۷ / ۱۵
كتابخانه ملی جمهوری اسلامی ايران ۳۳۸۷۴۵۱



فيض الحرمين في شرح منظومة الثقلين

علي نظامي پور الهمداني

مراجعة: قيس العطّار

الطبعة الأولى ١٤٣٥ ق. / ١٣٩٣ ش. / ١٠٠٠ نسخة
الثمن: ٤٠٠٠٠ ريال إيراني
الطباعة: دقت
مجمع البحوث الإسلاميّة، ص.ب ٣٦٦-٩١٧٣٥
هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلاميّة: ٢٢٣٠٨٠٣
معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلاميّة، (مشهد) ٢٢٣٣٩٢٣، (قم)٧٧٣٣٠٢٩
www.islamic-rf.ir info@islamic-rf.ir

الفهرس

كلمة مجمع البحوث الإسلاميّة..٥

مقدّمة المُؤلِّف..٩

أقسام الهداية و صلة القرآن بها..١٧

(حرف الألف) أنَّ القرآن مَجْلى صفات الله ٢٠

(حرف الباء وما تعلّق به) أنَّ القرآن كاشف الظّلمات ٢٢

(حرف التّاء وما تعلّق به) التّدبّر في القرآن ٢٧

(حرف الثّاء وما تعلّق به) مَن يُتِمُّ ثقافة القرآن ٣١

(حرف الجيم وما تعلّق به) منبع القرآن ٣٤

(حرف الحاء وما تعلّق به) أنَّ القرآن منشأ الحياة ٣٦

(حرف الخاء) أنَّ أهل القرآن هم الأخيار..٤٠

(حرف الدّال والذّال) دلالة القرآن وذلالة مَن خالَفه ٤٣

(حرف الرّاء وماتعلّق به) أنَّ القرآن مِرآة لله ٤٧

(حرف الزّاء وما تعلّق به من أبيات كثيرة) ردّ القول بتحريفه وما يُناسِبُه ٥٠

(حرف السّين) مبدأ القرآن ومَنزِله..٨٨

(حرف الشّين) مَيز القرآن عن سائر الكُتب ٩٠

(حرف الصّاد) بيان دَور القرآن في رفع خِلافات البَشر عامّةً ٩٣

(حرف الضّاد وما تعلّق به) بيان بعض المراتب العالية للقرآن ٩٦
(حرف الطّاء) بيانٌ لِوَظيفة طالب حقائق القرآن ٩٨
(حرف الظّاء) تعيين زمانِ أكملِ ظهورٍ للقرآن ١٠١
(حرف العين وما تعلّق به) إشارةٌ إجماليّةٌ إلىٰ جميع حقائق القرآن ١٠٣
(حرف الغين وماتعلّق به) بيان فَرقٍ آخَر للقرآن عن سائر الكتب ١٠٧
(حرف الفاء) بيانُ جامعيّة القرآن للعلوم ١٠٩
(حرف القاف) إيضاحٌ لِبَعض أسماء القرآن الشَّريفة ١١١
(حرف الكاف) بيان فضيلةٍ مِن فضائل القرآن على سائر الكتب ١١٤
(حرف اللّام) إشارةٌ إلى سعة لغات القرآن ١١٧
(حرف الميم وما تعلّق به) توضيحٌ لكون القرآن معجزاً ١١٩
(حرف النّون وما تعلّق به) إيماءٌ إلى نزولَي القرآن ١٢٢
(حرف الواو وما تعلّق به) إشارة إلى مراتب وجود القرآن وبعض المطالب النَّفيسة ١٢٤
(حرف الهاء وما تعلّق به) إشارة إلى كون حقائق القرآن فطريةً ١٢٧
(حرف الياء وما تعلّق به) إشارة إلى مَعيّة الثَّقلينِ وبعض المطالب التّربَويّة ١٣٠
ختم الكتاب حول النّاظم وآثاره ١٤٠
المصادر ١٤٣

كلمة مجمع البحوث الإسلاميّة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، أبي القاسم محمّد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

وبعد، فإنّ المسلمين بشتّى طوائفهم أجمعوا على أنّ أوّل مصادر التشريع هو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المصون عن التحريف والتبديل بنصّ قوله عزّوجلّ: ﴿إِنّا نحنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَوَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾، و هو الثَّقَل الأكبر الذي لن يَضلّ مَن تمسَّك به.

لكنّ شرذمة من هنا وهناك راحت تنعق وتنفخ أبواقها بُغْيَةَ التشكيك بهذه الحقيقة الإلهية الناصعة، ووضع الوَضَّاعون روايات زائفة في هذا المضمار.

من هنا تصدّى علماءُ المسلمين ـ وعلى وجه الخصوص علماء الطائفة الإمامية ـ لدحض تلك المفتريات، و إثبات عدم التحريف المُدَّعى، وذلك تبعاً لأئمّة الهُدَى أئمّة أهل البيت عليهم السلام، فأُلّفت الأسفار والكتب، وكتبت الفصول والمقالات، و صدرت الفتاوىٰ

والكلمات المصرِّحة بحقيقة صيانة القرآن عن التحريف.

وبموازاة ذلك تمسَّكَ أتباع مدرسة أهل البيت بالثَّقَل الثاني المتمثّل بالعترة الطاهرة؛ الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، فساروا على الطريق اللّاحب والصراط المستقيم، وألّفوا في إثبات أحقّيّة أهل البيت عليهم السلام الموسوعات والمؤلّفات الجمّة، فازدهرت المكتبة الإسلامية بكتب قيِّمة رائعة.

ولم تقتصر مؤلّفات الإمامية على النّثْر، بل اتّسعت دائرتها لتستخدم الشِّعر والمنظومات الأدبيّة في مجال القرآن والعترة، فكانت هناك عشرات بل مئات المنظومات والأراجيز لكبار العلماء والفضلاء المحقِّقين، محقِّقةً الرَّقْم الأعلى ومبيّنة الحق الأجلى على مدى القرون ومرِّ العُصُور.

وينخرط في هذا السلك في العصر الحاضر هذه المنظومة الماثلة بين أيدينا، فهي منظومة جميلةُ السَّبْك، مُحْكَمةُ الحَبْك، مُسَلْسَلَةٌ طبقَ الحروف الأبتثية، وفي حواشيها أبيات توضيحية لإتمام المعاني المراد طرحُها في ميدان العلم والثقافة.

وفوق ذلك نَرى شاعر هذه المنظومة قد آلى على نفسه أن يُشْفِعها بشرحٍ دقيق وافٍ يبيِّن دقائقها وظرائف نُكاتها، لكي لايبقى بيان الموضوع محصوراً في مجال الشِّعْر المُحْتَمِل ـ في كثير من موارده ـ لأكثر من وجه.

وبما أنّ الله سبحانه وتعالى كان قد أفاض هذه الأرجوزة على ناظمها في أيّام الحجّ والتشرّف بزيارة الحرمين المكّيّ والمدنيّ، لذلك سمّاها ناظمها «فيض الحرمَين في شرح منظومة الثقلَين»، فجاء هذا الكتاب. آيةً في بابه، ودُرَّةً في عِقْدِ التُّراث الشيعيّ الزاهر.

وبما أنّ مجمعنا «مجمع البحوث الإسلامية» كان قد عُني منذ بداياته وبدرجة كبيرة بإِحياء التراث القرآني وتراث أهل البيت عليهم السلام، وكان من جملة مفاخره كتاب «النصّ الخالد لم ولن يُحرَّف أبداً»، فلذلك شَمَّر مجمعنا عن ساعد الجدِّ لإحياء هذا الأثر «فيض الحرمين» والإشراف عليه وطبعه ونشره، ليكون حلقةً من حلقاتِ سلسلةِ الذهب التي صاغَتها يَدُ كُلِّ صَناعٍ من مَهَرَةِ الفَنّ، وزانَها مجمعُنا بالتحقيق الجميل والطباعة الأنيقة والإشراف العلميّ.

هذا، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله على ما وفَّق، وله الشكر على مِنَنِهِ العِظام، وخير التحية وأزكى السلام، على محمَّد وآله سادات الأنام.

مجمع البحوث الإسلاميّة

علي أكبر الإلهيّ الخراسانيّ

مقدّمة المـُؤلِّف

إنّ من أعظم المعارف وأهمّها هو التّعرُّف على الثَّقلَين، كما صُنِّفَت فيه كتبٌ قيّمةٌ على نحو الاستقلال، ولكنّي لَم أَظفر بكتابٍ في هذا الموضوع بالنَّثر والنّظم، ولاسيَّما على حسَب ترتيب الحروف، ونحن نشكر اللهَ على ذلك حيثُ وفّقَنا لتأليفه و إنشاد أبيات متنه.

أَضف إليه أنّ كلَّ كتابٍ أَلّفه أيّ محقّقٍ فاضلٍ لايخلو من تشابه كتابه مع كتب الآخرين، ولكنَّ هذا الكتاب غير مكرّر في بابه كما يَتَّضح لك إن شاء الله تعالى. فنسأل اللهَ تعالى مزيد توفيقٍ في هذا الطريق حتّى يَتمَّ ويكملَ إنّه قريبٌ مجيب.

تذكرة: نشرع بها بعون الله تعالى، وهي إنَّ الأبياتَ أُنشدَت علىٰ نحو الأرجوزة. والأرجوزة متشكّلةٌ من أَربعة أبياتٍ كمقدَّمة، وكذا الأبيات الّتي في آخرها والأبيات المتعلّقَة بالمتن غير مرتّبَةٍ على الحروف، ولكنَّ متن الأُرجوزة أنشدناها على التّرتيب المذكور، فإليك الأرجوزة بتمامها مِن غير شرحٍ لها ثمَّ نأتي بكلّ بيت مع الشّرح إن شاء الله.

اَلحَمــدُ للهِ مُنــزِّلِ الهُــدى مِــن أَزَلِ الآزالِ حمــداً سَــرمدا

وأفضَــلُ السَّــلام والتَّحيَّــةِ علَــى النَّبــيْ والعِتــرَةِ الزَّكيَّــةِ

ثُــمَّ الهِدايَــةُ بتَشــريعٍ نَــزَلْ أوهــيَ تَكوينيَّــةٌ فيمَــا عُقِــلْ

كتابُنــا العزيــزُ شَــرعاً نــزلا كمــا هــومُكــمِّلَ العُقــولِ جَــا

١ـ إنَّ كــلامَ اللهِ فــي القــرآنِ مَجْلى صِفاتِ خَالقِ الأكوانِ

٢ـ بِنُــورِهِ تُكْشَــفُ كُــلُّ ظُلْمــةِ بِشرطِ تَفسيرٍ لأَهلِ العِصمَةِ [1]

٣ـ تَــدبُّرُ القُــرآنِ خُــذهُ طاعــةً قــراءةُ آياتِــه عبــادةً [2]

٤ـ ثَقافَــةُ القــرآنِ لــن تَتِمّــا إلّا بمَــن حــقٌّ لِأن يُؤْتَمّــا [3]

١ـ تَفسيرُهم عِلماً و عَيْناً قد بَدا كلاهُمــا مُنــزَّهٌ مِــن الخَطــا

علميُّــه يُســمَعُ مِــن أقــوالِهِمْ عَينيُّــه نَــراهُ فــي أفعَــالِهِمْ

٢ـ لأنَّ بِالتَّــدبُّرِ تَنكشِــفُ حَقــائقُ العُلــومِ مِنــه فــاعرِفُوا

وَ تَطهُــرُ النُّفــوسُ بالتَّــدبُّرِ وإنَّــه الحُجَّــةُ ضِــدَّ الكــافِرِ

قِــراءَةُ الآيــاتِ مَــا تَيسَّــرْ كمَيِّــتٍ مــا لــم يَكــن تَــدَبُّرْ

٣ـ لكــي تُــرى آثارُها فِي المُجتمعْ فــي كــلِّ مــا جــازَ و كــلِّ مــا مَنَــعْ

طِبقــاً لِمَــا أرادَهُ اللهُ و لا كمــا يُريــدُ أهــلُ جَهــلٍ و هــوى

و أن يَــراهُ النَّــاسُ مِــرآةَ الهُــدى صَــافيةً مِــن كــلِّ نقــصٍ و رَدَى

وَ يَــرَوْا الكمــالَ فِــى مِرآتِــهِ و يَقتَــدُوا بِعينِــهِ و ذاتِــهِ

٥ـ جاريــــةٌ آياتُـــهُ كـــالنَّهْرِ مِـن بَحْـرِعلـمِ اللهِ يـا لَلْبَحْـرِ [١]

٦-حَيـاةُ قَلْـبِ النّـاس بـالقُرآنِ وإنَّـه مـاءُ الحَيـاةِ الثـاني

٧-خِيـارُ أهْلِـه خِيـارُ الأَ مَّـةِ لَـيسَ لِمَـنْ آنَسَـهُ مِـنْ غُمَّـةِ

٨-دليـلُ كـلِّ حـائرٍمن حَيْرَتِهْ نَجاةُ مَن أذنَـبَ فـي شفاعَتِهْ

٩-ذلَّ مَن استَعَزَّمِن غيرِهُداهْ ولـم يَنَـل قَـطُّ بغَيـرِهِ مُنـاهْ

١٠-رُؤيَـةُ ربِّ العـالَمِينَ فيـهِ مُمْكِنَـةٌ لِقَلْـبِ مَـن يَعيـهِ [٢]

١١-زُورٌ وكـذبٌ ومِـنَ البُهتـانِ مَن قال بالتَّحريفِ فِي القرآنِ [٣]

١ـ لـيسَ لـه قعـرٌ ولا ابتـداءُ فـي أيِّ صُـقعٍ لا ولا انتهـاءُ
لـو فُـرِضَ لِلبَشـرِعُمْـرٌ أبـدْ أفـادَهُ القـرآنُ عِلمـاً لا يُحَـدْ

٢ـ لأنَّـه تَقْـوىٰ بِـهِ العقيـدةْ وتُـرْفَضُ المنـاهجُ البَعِيـدَةْ

٣ـ لأنَّ مَـن جـاءَ بـه معصـومُ ومَـن أتـى مِـن عِنـدِه حَكـيمُ
وصَـونُهُ ضَـرورَةٌ فِـي الأَمَّـةِ وإنَّـه قـرينُ أهـلِ العِصـمةِ
كـلٌّ مِـن العِصـمةِ والصِّـيانَةِ تُـلازِمُ الأخـرى بِـلا خِيانـةِ
لَـوأمكـنَ تَحريفُـهُ لأَمْكَنـا إتيـانُ مِثلـه لِكـلِّ مَـن عَنـى
وحيـثُ يَسـتَحيلُ ذا الإتيـانُ يُخـالِفُ تَحريفَـهُ البُرهـانُ
بِكثـرةِ الْحُفّـاظِ والكُتّـابِ صِـيانةُ القـرآنِ دون عـابِ
لَـوحُـرِّفَ لَـم يَصبِرآيُّ صَـابِرِ فَصَـونُهُ يَثبُـتُ بِـالتَّواتُرِ
لَـم يَقـعِ التَّحريـفُ فـي مَـا سَبَقا إلّا بناسِـخٍ أتـاهُ لَحِقـا

←

→

و حيــــثُ لا ناســـخَ للقـــرآنِ قــولٌ بــه مِــن أفحــشِ البُهتــانِ
نَواسِــخُ الآيــاتِ فِــي الكتــابِ نَــادِرَةٌ عنــدَ أُولِــي الأَلْبَــابِ
و النَّسـخُ فِـي التَّشـريعِ لاتَكوينـا لِأَنَّــهُ الفَــرعُ و لَــيسَ دِينــا
قَــد وَقَــعَ فِـي الشَّـرعِ كالبَـداءِ فِـي عَـالَمِ الكـوْنِ بِـلَا خَطَـاءِ
وَ وَقَــعَ مِــنْ قِبَــلِ العَــلّامِ كمَــا اقْتَضَــتْ مَصْـلَحةُ الأَنَـامِ
كلامُــهُ اللَّفظــيُّ حــادِثٌ كمــا مَعنــاهُ فــي عِلـمِ القَـديمِ قَـدُما
فيُجْمَــعُ بــينَ المَقــالتَينِ و يُرفَـعُ التّنـاقُضُ فـي البَـيْنِ
مَـن قـال بالنَّفسـيِّ قِسـماً آخـرا مِـن الكَـلامِ خَـالفَ التَّبـادُرا
آياتُــهُ شــواهِدُ الأئمَّــةْ عَلــى مُــراداتِهِمُ لِلأُمَّــةْ
فَكيــف يُستَشــهَدُ بــالمُحرَّفِ لأنَّ فيــه ضِــلَّةَ المُكلَّــفِ
قــد وَعَــدَ اللهُ بحفظِــهِ أَضِــفْ إلَيــه أنَّــه بعِــزٍّ قــد وُصِــفْ
طَهــارةٌ لِلأُمَّــةِ بــالعَرَضِ لاتَحصُـلُ إلّا مِـن الـذّات، قُضِـيْ
تَحريفُـهُ مُنـاقِضٌ لِمَـا وُصِـفْ مِـن الكمـالاتِ الّتـي بِهـا عُـرِفْ
كـالنُّورِ و المَجيـدِ و الكـريمِ والـذِّكرِ و الرَّحمـةِ و الحَكـيمِ
فَتَجِــبُ صِــيانَةُ القُــرآنِ و عِصـمةُ الإمـامِ بِالوِجـدانِ
لـو وَقَـعَ التَّحريـفُ فِـي بَعضٍ فَـلا يُـؤمَنُ فِـي الآخَـرِ أنْ لَـنْ يَحْصُـلا
مـا وُعِـدَ بِحفظِـه لَيَقتَضِـي يُواجِـهُ أَعـداءَهُ لا يَختَفِـي
كعصـمةِ اللهِ النَّبـيْ و لَـم يَغِـبْ عَن مَحْضرِ الأعداءِ و هو لَم يُصَبْ
و مَـا اختَفـى عِنـدَ الـوَليِّ المُنْتَظَـرْ فَهْـو بعيـدٌ مِـن عَـدُوٍّ و خَطَـرْ
لا يَتَرتَّــبُ عليــهِ أَثَــرُ لا يُهتَــدى بِــهِ و لا يُعتَبَــرُ

←

١٢-سَماؤُهُ سُماءُ غَيبِ اللهِ وأرضُهُ قلبُ رسولِ اللهِ

١٣-شُخوصُهُ البارزُ بينَ الصُّحُفِ كالشَّمسِ ما سِواهُ عندَهُ خَفِيْ

إنكارُ أحرارٍ مِن الأفاضِلِ في كلِّ عَصرٍ و شُذوذُ القائِلِ

يُؤيِّدانِ ما ادَّعيناه فلا تُصغِ إلى كلامِ مَن تَقوَّلا

مَن قال بالتَّحريفِ و هو مسلمُ مُرَدَّدٌ فِي دينِهِ لايفهَمُ

بأصلِهِ و فرعِهِ لَم يَثِقِ فكيفَ يُؤمِنُ و كيفَ يَتَّقِي؟!

وَ لا لَهُ المِيزانُ لِلعلمِ بِما صَحَّ مِن الأخبارِ عن ما سَقُما

لو صَحَّ تحريفُ الكتابِ لاقْتَضى إلى العوامِّ نقلُهُ مِمَّن مَضى

كقِصَصِ تاريخِنا المُشتَهِرَةْ بينَ الخَواصِ و العَوامِّ ظاهِرَةْ

فحيثُ لَم يَسْرِ إلى الأنامِ قولٌ به مِن أقبحِ المَرامِ

تلك المُؤيِّداتُ و الأدِلَّةْ لا تُورِثُ القائلَ إلّا الذِّلَّةْ

فَما رَوَى القائلُ مِن نَصِّ الخَبَرْ كسُورةِ الوِلايَةِ لا يُعتَبَرْ

قَد جَعَلَ أخبارَهُ اليَهودُ مِنَ اليَهودِ لَن يُرى وَدُودُ

إنَّا نَفَيناهُ بِقَولٍ مُطلَقِ كَيْ لا يُظَنَّ فيه قولٌ بِالحَقِ

حَديثُ الاختِلافِ في قِراءَتِهْ يُوجِبُ ضَعفَ القَولِ في صِيانَتِهْ

لَمْ تَتَواتَرِ القِراءاتُ الأُخَرْ فَما عَدا المَشْهُورَةَ لا تُعْتَبَرْ

فَتُؤخَذُ القِراءَةُ المَشهُورَةْ و تُجعَلُ البَقيَّةُ مَقبُورَةْ

لاشَكَّ فِي أنَّ الإمامَ المُنتَظَرْ يَرضى مِن القَراءةِ بِمَا اشتَهَرْ

وأَنَّ ما هُوَ لَهُ مَقْبُولُ فَهُوَ ما أَتَى بِهِ الرَّسُولُ

لأَنَّ ما لا يُعْبَأُ بِهِ فلا يَختَلُّ أمرٌ بِالَّذي لا يُعتَنى

١٤-صَلاحُ ذاتِ البَينِ بَينَ المِلَلِ لـيسَ سِوَى القُرآنِ لا بِالـدُّوَلِ

١٥-ضِعفُ مقامِ المُؤمنِ فِي طُورِهِ رُقيُّـهُ الكامِـلُ فِـي ظُهُـورِهِ [1]

١٦-طالِبُـهُ يَجِـبُ أَنْ تَطَهَّـرا مِن دَنَسِ الخَفِيْ وما قَد ظَهَرَا

١٧-ظُهْرُ طُلوعِ الشَّمسِ لِلقرآنِ بِفَـرَجٍ لِصـاحبِ الزَّمـانِ

١٨-عِرفانُ مَا حُقَّ لَك أن تَعرِفا لا يُمكـنُ إلَّا بِقُـرآنِ اعرِفـا [2]

١٩- غَيَّـرَ غَيـرَهُ يَـدُ الخَـوَّانِ ـ ككُتُبِ العهدَينِ ـ والزَّمانِ [3]

٢٠- فَواكِـهُ العُلُـومِ لِلعُقُـولِ تُوجَـدُ فـي القـرآنِ كالسُّيُولِ

٢١- قرآننـا الكِتـابُ والمِيـزانُ والنُّـورُ والمَـوْعِظ والفُرقـانُ

٢٢- كفَى بِفَضلِه مُهيمنَ الكُتُبْ وناسـخاً لهـا بأَحْسَنِ الرُّتَبْ

٢٣- لُغاتُـهُ مِـن أَوسَعِ اللُّغـاتِ مَعنـىً فـأَخْبِرَنْ لِكُـلِّ عـاتِ

١ـ كمـا جَـرَى عَلـى الكَلِـيمِ عَيْنـا كلَّمَـهُ اللهُ بِطُـورِ سَـينا

حَريمُـهُ تَشَـبَّهَ بِـالطُّورِ لأَنَّـه النُّـورُ و مَجْلَـى النُّـورِ

٢ـ و هـو عِبـارةٌ عـن المَسِـيرِ و المَبْـدإِ و المَقْصَـدِ و السَّـيْرِ

فالمبـدأُ لـيسَ سِـوَى اللهِ كَـذا مَسِـيرُك مَعْرِفَـةُ النَّبِـيْ خُـذا

مقصَـدُك المَعـادُ للإحقـاقِ سـيرُك بالأعمـالِ و الأخـلاقِ

لأَنَّـه يُنْبِـئُ عـن عُمْـقِ الفِطَـرْ و يَطْـرُدُ الـوَهْمَ و يَبعَـثُ الفِكَـرْ

٣ـ لـم يَبـقَ بُرهـانٌ عَلـى أيِّ سِوىٰ تَصـديقِ قـرآنٍ و إلّا فَهَـوى

٢٤- مُبَيِّنٌ حالَ القرونِ الخَاليةْ فَيا لَهُ مِن مُعْجزاتٍ عَاليةْ [١]

٢٥- نُزولُه النُّزولُ بالتَّجَلِّيْ لا بالتَّجافي فافْهَمَنَّ قَوْلي [٢]

٢٦- وُجُودُهُ ذُورُتَبٍ عَدِيدَةْ ضَعِيفَةٌ وَسِيطَةٌ شَدِيدَةْ [٣]

٢٧- هَدْمُ بِناءِ فِطْرةِ الإنسانِ تَعطيلُهُ أوامِرَ القُرآنِ [٤]

٢٨- يُقارِنُ القُرآنَ آلُ المُصْطَفىٰ بِهِ بِلا قَرِينِهِ لا يُكْتَفىٰ [٥]

١ـ هو الّذي عَن المَغيبِ أخبرا وصارَ بِالمَعاجِزِ مُظفَّرا
مَعْ كونِ مَن أتى به مُعلِّما مَا قَرأ الدَّرسَ و ما تَعَلَّما

٢ـ قَد وَقعَ النُّزولُ مَرَّتَينِ منَجَّماً ثانيهِما بِالعَيْنِ
نَزَلَ بالألفاظِ والمَعاني على النَّبيِّ الخَاتمِ ذي الشَّان

٣ـ فاللَّفظُ و الكَتبُ ضعيفُ الرُّتْبِ وَسِيطُهُ ما ثَبَتَ فِي القَلْبِ
شديدُهُ ما قَرَّ في قلب الوَلِيْ كان رَسُولاً أو نبيّاً أو وَصِيْ
لأنَّ أكمَلَ مَعانِيهِ حَضَرْ في قلبِ مَوصوفٍ بِه و مَا اختَبَرْ
أشدُّ منه مَا اختفىٰ عَن مُمْكِنِ لايقبلُ التَّحديدَ بل لَمْ يُمكِنِ
لأنَّهُ حقيقةُ العِلمِ اعلَمِ والعلمُ عَينُ الذّاتِ لاتَكَلَّمِ

٤ـ أو كانتِ الفطرةُ لاتَنهَدِمُ بتَركِهِ الأوامِرَ تَنثَلِمُ

٥ـ كما دَعا الثاني إلى الإكْتِفاءْ مُخالِفاً لخاتِمِ الأَنبياءْ
لِأنَّهُ مَنبعُ تَعليمِ عُرِفْ و مَنبَعُ التَّربيةِ الآلُ وُصِفْ
فَمَن رَأى التَّعليمَ دونَ التربيةْ عَبَّرَ عنها رَبُّنا بِالتَّزكيةْ
لايحصُلُ الكمالُ إلّا بِهِما ولا بِواحِدٍ و لا دُونَهما

←

أنشَدَ هَذهِ عَلِيْ النِّظامي لعلَّهُ يُذْكَرُ في الكِرامِ
مِن بعدِ مَوتِه بِذكرِ خيرِ رجاءَ أن يُحْبى بِخَيرِ ذِكْرِ
أنشَدَها مُلبّياً بِالدَّعوةِ في مَكَّةِ[1] في ثالثِ الأيّام مِن ذي الحَجَّةِ

تَربيةُ الشَّيءِ تكونُ صُنعُهُ مِن أصلِه و عَنْ سِواهُ مَنْعُهُ
فَالصُّنعُ و المَنعُ بفعلٍ صَدقا تَعليمُك بِالقول قَد تحقَّقا
تَعليمُك يُخَصُّ بالمُختارِ وَعَمَّت الأخرى (تربية) كماءٍ جَارِي
و لايُربّي النَّاسَ مِن فطرتِهِمْ إلّا هُمُ هذا لِمَن بُغيَتِهِمْ
و يَجمَعُ الأَمرينِ واحدٌ فلا تُخَصِّصَنَّ فاعِلاً و قابِلا
كما هو شَأنُ النَّبيّ الطّاهِرْ أيُّ مِن الأمرَينِ فِيهِمْ ظاهِرْ
و هُمْ بِهَذا الإعتبارِ أَكْمَلُ فُصِّلَ فِيهِمُ الكِتابُ المُجْمَلُ
لم يُجْمَعِ الشَّأنانِ في الكتابِ بَل جُمِعَ فِيهِمْ بِلَا ٱرْتِيابِ
تُلازِمُ التَّربيّةُ التَّعليما لِمَن أَرادَ صُنْعَهُ قَويما
قد بُعِثَ النَّبيْ مُربّياً كما قد أُرسِلَ بِقولِه مُعلِّما
و آلُهُ الأطهارُ في المَقامِ قامُوا بِشَأْنَين بِلا كَلامِ

١ـ أو: أنشدها ملبّياً بالدَّعْوَةِ.

١

أقسام الهداية و صلة القرآن بها

اَلحَمــدُ للهِ مُنــزِّلِ الهُــدى   مِـن أَزَلِ الآزالِ حمـداً سَـرمدا

ينبغي فيه ذكرُ نكاتٍ:

الأولى: المرادُ من الحمد هو المدح، ولكنّ الحمد أخصُّ منه، لأنّه لا يُحمدُ غيرُ الله ولكن يُمدَح.

الثّانية: يُمكن لنا أن نشكره سبحانه على إنعامه علينا ويمكن أن نحمده على ذلك، ويتفاوتان من جهة أنّ متعلّق الشّكر هو إنعامه، ومتعلّق الحمد هو صفاته الّتي تكون مرجعاً لفعل الإنعام، كرحمته على المنعم عليه، وعلمه باستحقاقه، وقدرته على الإنعام، وعدله لمراعاة الاستحقاق، وغير ذلك من الصّفات.

الثّالثة: تنزيله الهدى يليق أن يُشكَر به كما يجوز أن يُحمَد به.

الرّابعة: المراد من أَزَلِ الآزال والسّرمد هو ما يفوق على الزّمان، لأنّه سبحانه حقيقةٌ محمودةٌ خارجةٌ عن أفق الزّمان.

الخامسة: إن سأل سائلٌ: إنّا محدودون، فكيف يمكن لنا أن

نحمده بلا حدٍّ كحَمْدٍ سرمديّ؟ نُجيب عنه: نعم إنّا لانقدر على حمدٍ كهذا، ولكن نُقرّ بأنّه سبحانه مستَحِقٌّ لحمدٍ غير مُتَناهٍ على ما يحمد سبحانه نفسه.

وأفضَلُ السَّلام والتَّحيةْ   علَى النَّبيْ والعِترَة الزَّكيةْ

وفيه النكات التالية:

الأولى: المراد من العترة هم أقارب النبيّ، كابنته وسبطيه وصهره المعظَّمِين. والفرقُ بين السّلام والصّلاة (كما هو المشهور) هو أنّ السّلام مطلق التّحية، ولكنّ الصّلاة تحيّةٌ حارّةٌ غير منقطعة.

الثانية: إنّ صلاتَنا وتسليمنا على النّبي وآله ليستا في الحقيقة منّا، لأنّا عاجزون أن نصلّيَ ونسلِّم عليهم كما يُناسِبُ دورَهم في وساطتهم لأخذ الفيوضات ونشرهم إيّاها بيننا خاصّةً وبين الموجودات عامّةً فإذاً نطلب من الله إيّاهما (أي الصلاة والتّسليم) **لأنّ** حقوقهم عليهم السلام علينا أعظم الحقوق بعد حقّ العبوديّة لله.

ثُمَّ الهِدايةُ بتَشريعٍ نَزَلْ   أوهيَ تَكوينيَّةٌ فيمَا عُقِلْ

قد انقسمت الهداية في هذا البيت إلى قسمين: تكوينيّة وتشريعيّة. أمّا الأولى فهي الهداية العقلية أي بالعقول، فهذه غير نازلةٍ بل النّاس مفطورون عليها. وأمّا الثّانية فهي نازلةٌ من عند الله **لأنّها** تفوق عقول النّاس. أمّا دَوْر القرآن في الأولى فهو التّأييد، وفي الثّانية فهو التّعليم كما في البيت الآتي.

كتابُنا العزيزُ شرعاً نزلا كما هو مكمّلُ العُقولِ جَا

في هذا إشارةٌ إلى أنّ القرآن يُكمِّلُ العقولَ بتأييده المعقول، و إزالة كلّ كدرٍ عنها، ومنع إشراقها من الأُفُول. والشّواهد القرآنية على ذلك كثيرةٌ جدّاً، كالآيات المادحة لأهل العقل والذّامّة لأهل الظّنّ والتَّخَرُّص والتّقليد من غير دليل. و إن شئتَ شاهداً جامعاً مفصّلاً على ذلك من القرآن فراجِع الرواية المنقولة في (الكافي) عن هشام بن الحكم عن مولانا الكاظم عليه السلام. هذا آخر الكلام في المقدمة، و إليك أوّل بيتٍ بعدها من متن الأرجوزة على حسب ترتيب الحروف.

٢

(حرف الألف)

أنَّ القرآن مَجْلى صفات الله

إنَّ كـــلامَ الله فـــي القُـــرآنِ   مَجلىٰ صفاتِ خالقِ الأكوانِ

في هذا البيت ثلاث نكات:

الأولى: هذا مشيرٌ إلى حقيقة، وهي أنّ كلّ متكلِّم يظهر ويتجلّى في كلامه وجوداً، علماً، قدرةً، حياةً، إرادةً، تقديراً، وغير ذلك من صفاته. فالقرآن كلام الله، فكيف يُمكن أن يكون المتكلّم غير موجود أو جاهلاً بما يقول أو عاجزاً عن أداء مراده أو ميّتاً أو غير مقدِّر و... .

ويشهد على ما قلنا كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ما في نهج البلاغة: «...فتجلَّى لهم سبحانه في كتابه مِن غير أن يكونوا رَأوه بما أَراهُمْ مِنْ قدرته، وخوَّفَهم من سَطوتهِ...»[1].

١ـ الخطبة: ١٤٧.

الثّانية: هل القرآن مجلاه سبحانه (على حسب كلام الإمام عليّ عليه السلام) أو آياته ؟ الجواب: قد يُنظَر إلى القرآن نظراً بَدوِيّاً، وقد يُنظَر بالدّقة الذّوقيّة أو العرفانيّة. فبالنّظر الأوّل، إنّه آيات له سبحانه كما أنّ لكُلِّ كلام علاقة للمتكلّم لِتَقَوُّمِ الكلام به. وبالنّظر الثّاني، إنّ للكلام نَحْوَ اتِّحادٍ مع المتكلّم لأنّه يُنشَأ عن ضميره، وضميرُه متَّحد مع ذاته، فالكلام يتَّحِد بذات المتكلّم. فمَن تأثَّر باستماع القرآن وبكى أو تَزعزع أو خرّ مغشيّاً أو ابتهج فقد أدرك هذا الاتّحاد. فلو لم يكن هذا الاتحاد ولم يدركه السامع أو المخاطب لَما أَحَسَّ بزوال التعب عن نفسه، كما قال زين العابدين عليه السلام: لَذَّةُ هذا النِّدا «يا أيُّها الَّذين آمنوا...» أزال التّعب والعنا. فتدبّر.

فالحاصل أنّ الآية هي المَجْلى. والمَجْلى هو الآية، إلّا أنّ أكثر النّاس لايُدركون كونها كالمَجْلى، فلا منافاة بينهما.

الثّالثة: إطلاق الأكوان (مع كونِ الوجودِ حقيقةً واحدةً واسعة) إنّما هو باعتبار مراتبه الشّديدة والضّعيفة المتكاثرتَينِ، أو باعتبار كثرة الماهيّات المعروضة لتلك الحقيقة العامّة.

٣

(حرف الباء وما تعلّق به)

أنَّ القرآن كاشف الظّلمات

بنـوره تُكشَـف كـلُّ ظلمـةِ　　بشرط تفسيرٍ لأهلِ العصمةِ
تفسيرُهم علماً وعيناً قد بَدا　　كلاهُمـا مُنـزّهٌ مـن الخَطـا
علميُّـهُ يُسـمَعُ مـن أقـوالِهِمْ　　عَينيُّـهُ نَـراهُ فـي أفعـالِهِمْ

فيه وفي المتعلّقَينِ به النكات التّالية:

الأولى: إنّ الانسان موجودٌ ذو بُعدَين: طبيعي وفوق الطبيعي (أي العقلي). ولكلّ بُعْدٍ حياةٌ وموتٌ وظلمةٌ ونورٌ بحسب البعد، فتكون له ظلمةٌ ونورٌ فوق طبيعته. فإذا غلبت طبيعته على بُعْده العقلي يصير كلّ معلومٍ ونورٍ له مجهولاً وظلمة، فلا يستطيع أن يَعرِف الحقايق غير الطبيعية، فيحتاج إذاً إلى نورٍ ليجد كلّ ما ضلّ عنه وفُقد من حقايق البُعد الثاني (أي العقائد الحقّة والأخلاق الحميدة المربوطتين بإنسانيّته دون طبيعته). وذلك النّور ليس إلّا نور القرآن، فكلّ ظلمةٍ

من ظلمات الطبيعة تنجلي بنور القرآن. ولكنّه مشروطٌ بأن يُفسّرَ المعصومُ آياتِهِ وألّا تقع ظلمةٌ فوق ظلمة، وليس المعصومون إلّا أهل البيت عليهم السلام. كما سيجيء مزيد بيانٍ إن شاء الله تعالى.

الثانية: يشهد على ما سبق قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا التبسَتْ عليكم الفتن كقِطع اللّيل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنّه شافعٌ مشفَّع»[١].

الثالثة: إذا كان القرآن نوراً أوذا نورٍ، فيلزم كون مفسِّره الّذي تُكْشف الظّلمة بنوره (أي مُفَسِّر القرآن) أن يكون مسانخاً مع القرآن، لاستحالة كون مفسِّرِ النُّور مظلماً. فالحاصل أنّ أهل البيت عليهم السلام مجانسون للقرآن في نوريّته؛ لعدم غلبة الطبيعة على عقولهم القادسة النيّرة (كما أشرنا آنفاً).

الرابعة: في حقيقة العصمة، نقول: إنّ أحسن التعاريف لها كما يلي: العصمة مَلَكةٌ علميّةٌ نفسيّة تصون الإنسان عن الزلل في القول والرأي والعمل[٢].

الخامسة: إنّ نورية القرآن إمّا من حيث معناه، وإمّا من حيث ألفاظه مستقلاً عن المعنى، وإمّا من حيث ألفاظه من جهة آليتها لفهم المعاني حيث اختارها الله سبباً لانتقال المعاني النوريّة إلى

١ـ **الكافي**، ٢: ٥٩٦ ـ كتاب فضل القرآن.

٢ـ اغْمَضْنا عن التعريف الخاصّ بِنا، وهكذا عن تطويل الكلام في العصمة خوفَ الإطالة.

المخاطبين. ولاشكّ في كونه نوراً باعتبار الأوّل والثالث، وباعتبار الثاني أنّها ليست نوراً لكونها من وضْع الواضعين واستعمال أهل اللّسان.

السادسة: في ذكر الدّليل من العقل والنّقل على المدّعى (أي نورية القرآن):

أما من جهة العقل فهو دليلان:

ألف. مصدر القرآن نورٌ، كما قال سبحانه: ﴿**اللهُ نُورُ السَّمٰواتِ والْأَرْضِ...**﴾[1]، ولايصدر من النور ما يناقضه.

ب. إنّ الحقايق المبيَّنة في القرآن كلّها حقايق نوريّة، لكونها وجوديّة كمالية، إمّا بالاستقلال كتبيينِه الخلق وتبشيراته للمؤمنين... و إمّا بالتّبع كإخباره عن النّار والعذاب وزوال الباطل و... لكونها ذاتَ أهدافٍ مثبتةٍ كما قال سبحانه: ﴿**ولَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[2].

وأمّا من جهة النقل؛ فقوله تعالىٰ: ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبيناً**﴾[3]

السابعة: في من هُم أهل العصمة؟ فتقول: لاشكّ في أنّهم هم

١ـ النور: ٣٥.

٢ـ البقرة: ١٧٩.

٣ـ النساء: ١٧٤.

النّبيّ وأوصياؤه الاثنا عشر وكذا ابنته الصدّيقة، ويُلْحَقُ بهم القرآنُ نفسه لتفسير بعض آياته (أي المحكمات) بعضاً (أي المتشابهات).

الثامنة: حيث قلنا في السابق بأنّ القرآن تنكشف به الظلمات بشرط أن يفسّره المعصوم، وهنا ينقسم تفسيره إلى العلمي والعيني. فالعلمي يُستفاد من أقوال آل البيت عليهم السلام حيث إنَّهم لاينطقون عن الهوى، كما أنَّهم لايعملون عن الهوى، كما قال تعالى: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكم ومَا غَوَى**﴾[1]، وتُتَصَوَّرُ الضّلالة والغواية في العقيدة والعمل. بهذا تنكشف كلّ ظلمة بنور القرآن إذا فسَّره المعصوم بقوله وعمله وتعليمه وتربيته، لأنّ غير المعصوم ـ وإن كان عادلاً ـ لايصيب حاقِّ الواقع ولبِّ الحقيقة لعدم براءته من الجهل والخطأ.

التاسعة: حقيقة التّفسير هو كشف السّتر ورفع الإبهام عن الكلام. فإذا كان تفسير القرآن مِن المعصوم، فإنّ المكلّف يعتقد به ويتّصف به ويعمل على منهاجه، فيحصل له مقصد خلقه وإيجاده، وإلّا فإنّ التفسير يقع بلا فائدة ومُغرياً للمكلَّف بالجهل والقبيح. مضافاً إلى أنّ تفسير مفسّر المعصوم يقع كسَدٍّ لصدِّ العقائد الضّالة والمرامات الباطلة . وفي تفسير غير المعصوم لاتحصل هذه الأهداف المعقولة.

العاشرة: قد أشرنا إلى قسمَي التّفسير عن المعصوم تعليماً وتربيةً.

١ـ النجم: ٢.

فالاوّل (التفسير العلميّ) بأقوالهم، والثاني (التربويّ) الحاصل من أفعالهم. مثلاً: الله سبحانه أمر في القرآن بإقامة الصّلاة، ولكنّ النبيَّ قال ـ كمُرَبٍّ للأمّة: «صلّوا كما رأيتموني أُصَلّي»، وكما قالت عائشة ـ في جواب مَن قال لها: بيِّني لي خُلُق النَّبيّ ـ: كان خُلُقُه القرآن. فالمعصومون عليهم السلام مضافاً إلى تعليمهم يُربّون النّاس ويصنعونهم بأعمالهم، فانتظر مزيد بيان للمقام إن شاء الله تعالى.

٤

(حرف التّاء وما تعلّق به)

التّدبّر في القرآن

تـدبُّرُ القـرآنِ خُـذْه طاعـةً ‌ ‌ ‌ ‌ قـراءةُ آياتِـه عبـادةً

لأنّ بالتّـدبّر تنكشـفُ ‌ ‌ ‌ ‌ حقـائقُ العلـوم منـه فـاعرفوا

وتَطهـرُ النفـوسُ بالتـدبُّرِ ‌ ‌ ‌ ‌ وإنَّـهُ الحُجَّـةُ ضِـدَّ الكـافِرِ

قـراءة الآيـات مـا تَيَسَّـرْ ‌ ‌ ‌ ‌ كميّـتٍ مـا لـم يكـن تَـدَبُّرْ

هذه الأبيات مشتملةٌ ـ مع تعليقاتها الآتية ـ على عدّة نكات:

الأُولى: الفرق بين الطاعة والعبادة هو أنّ الطاعة عامّةٌ بالنسبة إلى العبادة، والعبادة نوع خاصّ من الطّاعة. مضافاً إلى أنّ الطّاعة لايجب فيها قصد الوجه، ويجب في العبادة ذلك. أضف إليه أنّ الطّاعة يمكن صدورها من الكافر المتدبّر في القرآن، والعبادة ممتنعة الصّدور منه. مضافاً إلى أنّ المعبود ليس سوى الله تعالى، ولكنّ المطاع يمكن أن يكون غيرَ الله كالوالد والوليّ وغيرهما.

والفرق الآخر أنّ الطّاعة يمكن إيقاعها متقارنةً بقصد الوجه كالعبادة، وطاعةٌ كهذه تقع من الكاملين في العرفان.

الثانية: إنّ التّدبّر في القرآن وظيفةٌ عقلية للمؤمن والكافر، وحكمته ستأتي في ما بعد.

الثالثة: إنّه سبحانه أمر العباد بالتّدبّر في القرآن، فطاعة المطيع متفرِّعة على أمر المطاع بما يُطاع به، وقد أمر سبحانه مؤكّداً بالتّدبّر فيه؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾[1].

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ولَوكانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيهِ اخْتِلافاً كَثيراً﴾[2].

﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ ولِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾[3].

وعن الإمام عليٍّ عليه السلام: «مَن فَهِم القرآن فسَّر جُملَ العلم»[4].

فعلى هذا يكون أمرُهُ تعالى بالقراءة أو التّلاوة أو التَّرتيل إنّما هو لحصول التَّدبُّر، فالتّدبّر غايةٌ لكلٍّ ممّا أمَر، وإليك بعض الآيات في ذلك:

١ـ محمّد صلى الله عليه وآله: ٢٤.

٢ـ النساء: ٨٢.

٣ـ سورة صَ: ٢٩.

٤ـ تفسير الصافي ١: ٣٦.

﴿فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[١].

﴿الَّذينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ...﴾[٢].

وقال النَّبيّ ﷺ: «إنّ هذه القلوبَ تَصدأُ كما يصدأُ الحديد»، قيل: يا رسولَ الله، فما جلاؤها؟ قال: ذِكرُ الموت، وتلاوة القرآن»[٣].

«إقرؤوا القرآن، فإنّ الله تعالى لا يَعذِّب قلباً وعى القرآن»[٤].

الرّابعة: إنّ فوائد التّدبّر في الآيات كالتّالي:

ألف: انكشاف العلوم، لأنّك خبير بأنّ كلّ مفسِّر للكتاب العزيز لايمكن أن يظفر بالنّكات العلمية والظرائف العجيبة من غير تدبّر، فيصير التّدبّر كمفتاحٍ لفتح أقفال العلوم القرآنية.

ب: حصول طهارة النّفس في الآيات الأخلاقية، فلولاه لم تحصل الطّهارة.

ج: تقوية الإيمان وتعميقه وترسيخه بالتّدبّر في الآيات العقائديّة.

د. إتمام الحجّة على الكافر؛ لئلّا يقول محتجّاً على الله: لولا أرسلتَ إليّ رسولاً منذرًا لِأتّبع آياتك مِن قَبل أن أذلّ وأخزى.

هـ: يتمتّع المتدبّر بالنّكات المنكشفة، وينبعث إلى تبليغها غيرَه.

١ـ المزّمّل: ٢٠.

٢ـ البقرة: ١٢١.

٣ـ **نهج الفصاحة** / ح ٤٢٦. **شرح نهج البلاغة** لابن أبي الحديد ٢: ٢٣.

٤ـ **نهج الفصاحة** / ح ٩٣٤.

فتحصّل ممّا ذكر أنّ قراءة الآيات (مهما أمكن) من غير تدبّر تكاد أن تكون لاخير فيها، لأنّها تكون بلا أثر كبير، كالمَيتَة الّتي لا أثر لها، كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :«لا خيرَ في قراءة لا تدبُّرَ فيها»[1].

---

١ ـ بحار الأنوار ٧٨:٧٥ / ح٤٣ ـ عن كتاب: حلية الأولياء لأبي نُعَيم.

٥

(حرف الثّاء وما تعلّق به)

مَن يُتِمُّ ثقافة القرآن

ثقافــةُ القــرآن لــن تَتِمّــا	إلّا بمَــن حــقَّ لأَنْ يُؤْتَمّــا
لكي تُرى آثارها فِي المجتمعْ	في كلِّ ما جازَ وكُلِّ ما مَنَعْ
طِبقـــا لمـــا أرادهُ اللهُ ولا	كما يُريدُ أهلُ جهلٍ وهَوىٰ
وأن يـراه النّـاس مرآةَ الهـدى	صافيةً مِن كلِّ نقصٍ ورَدى
وَيَـرَوْا الكمـالَ فـي مِرآتِـهِ	ويَقتـدوا بعينِـهِ وذاتِـهِ

هذا البيت وما تتعلق به من الأبيات الأربعة مبيّنةٌ لحقيقة مهمّة، وهي تبيين مَن يستحقّ إجراء الثقافة القرآنية في المجتمع، فالأبيات مشتملة على نكات:

الأولى: المراد من الثقافة (وهي لغة حديثة في لسان العرب) ما يقال في اللغة الفارسية بـ«فرهنگ» وهي (أي الثّقافة) مشتملة على

جميع الحدود الحيويّة للإنسان في شتّى المجالات [١].

الثانية: تماميّة كلّ شيء عبارة عن ظهور آثاره المتوقّعة منه، بخلاف كماله الّذي هو أدنى رتبةً مِن التّمام. وهو (الكمال) في ما إذا حصلت للشَّيء أجزاؤُه الذّاتيّة مع صلةٍ لازمةٍ بينها، فتكون التّماميّة فوقَ الكمال.

فالحاصل: أنّ الآثار المتوقّعة من الثّقافة القرآنية ـ وهي إصلاح البشر عامّة في الدارينِ على حسب مراده سبحانه ـ لاتَظهرَ إلّا بإمام حقّ (أي أن يكون إماماً لائقاً لاقتداء الأُمّة به)، وهو سبحانه لا يُعيِّن لذلك غيرَ معصوم، ولاناقصاً.

الثالثة: إنّ حاقّ الحقيقة في التّشريع هو أن ينظر الله تعالى إلى المصالح الإنسانية خاصّة، ومصالح كلّ نظام الوجود عامّة لبلوغ حكمته تعالى أوّلاً، وصلة الإنسان بالعالَم ثانياً. فإذاً يلزم معرفة أنَّ القوانين إن أُجريت كما أرادها الله تحصُلُ المصلحتان (أي الإنسانية والعالميّة) على تماميّتهما.

فعندئذ تُقارَنُ الحقيقة مع الواقعية، ولكنّها إن لم تُجْرَ كما يريد الله تعالىٰ فإنّه ستحصل الواقعية دون الحقيقة، ولاشك في أنّ مراد الله سبحانه هو الأوّل (أي اقتران الحقيقة مع الواقع) لا الثاني [٢].

١ـ أي العقائديّة و الأخلاقيّة و العلميّة و العمليّة للفرد و المجتمع.

٢ـ و قد تبيّن الفرق هنا بين الحقيقة و الواقعية اللَّتَينِ قد تتفرّقان و قد تجتمعان.

ولاشكَّ أيضاً في أنّ لمُجريها دخلاً عظيماً في حصول مراد الباري وعدم الحصول، فبذلك اتّضح لك أنّ غير المعصوم غير قادر على تحصيل مراد الباري؛ إمّا لجهله وإمّا لعجزه وإمّا لحاجته وإمّا لتلوُّنه وإمّا....

الرابعة: الجواز هنا عامّ بالنّسبة إلى الواجب التَّكليفيّ وما لم يُمنع شرعاً، والمنع يختصُّ بالمحرَّم، لأنّ في ما لم يجب ولم يُحرَّم (أي المكروه) ترخيصاً من جهة الشّرع على فعله وتركه.

الخامسة: إنّ مَن عيّنه الله لإمامة الأُمّة لايكون تعيينه جُزافاً، لعدم حصول الغرض به، بل هو مشروط بكون المعيَّن معصوماً كي يتحقَّق غرضه سبحانه مِن غير أدنى فوت منه، وهذا ظاهر من البيت (طبقاً لما...)، وقد تبيّن أنّ إماماً كهذا لايمكن أن يكون إلّا المعصوم.

السادسة: إنّه سبحانه تامّ الإحسان وكامل اللّطف على عباده، ويلزم من ذلك أن يُريَهم الله شخصاً كاملاً تجلّت فيه الكمالات اللائقةُ على حدٍّ لا يُساوِيه فيها غيرُه. بحيث يراه النّاس مرآةً صافيّة للهداية، بأن تكون أفعاله وأقواله وجميع شؤونه هداية لهم، ولا يُرى فيه أيُّ نقص وفقدان، وهذا ظاهر من البيت (وَيَرَوْا الكمالَ في مرآتِهِ...).

٦

(حرف الجيم وما تعلّق به)

منبع القرآن

جاريـــةٌ آياتُـــهُ كـــالنَّهْرِ   مِـن بحـرِعلـمِ الله يـا لَلْبَحْـرِ

لــيسَ لــه قعــرٌولَا ٱبتــداءُ   فــي أيّ صُــقعٍ لا ولا انتهــاءُ

لــو فُــرِضَ للبَشَــرِعُمْــرٌأَبَــدْ   أَفــادَهُ القــرآنُ عِلْمــاً لا يُحَــدْ

هـذا البيـت (جاريةٌ...) ومـايتعلّق بـه مـن البيتَـين يُبيِّـن شـأناً آخـر للقرآن في تمثيلٍ، وفيه نكات:

الأُولى: إذا كان مراد المتكلم خارجاً عن فهم المخاطب يلزم على المـتكلّم تبيين مـراده بالتمثيـل والتشـبيه، وأنـت خبيـر بـأنّ الوقـوفَ علـى علمـه سـبحانه وصـلة القـرآن بـه ـ مـع كـون العلـم عـينَ ذاتـه المتعالية ـ أمرٌ صعب مشكل جدّاً على أكثر الأفهام، فلذلك يلزمنا تشبيه علم الله بالبحر، والقرآن بالنَّهر.

الثانية: إنّ البيت الأوّل (أي بيت المتن لا التعليقتَين) متضمّن

لتشبيهَينِ مُصرَّحينِ وتشبيهٍ ضمنيّ.

فالمُصرَّحان هما شباهة علم الله بالبحر، والقرآن بالنّهر، كما ذُكر. فيُستخرَجُ منهما شباهَةُ علمِه تعالى بالماء[1].

الثالثة: إنّ الشّباهة بين القرآن والنّهر من وجهَين:

ألف: إنّ النّهر محدود والقرآن محدود أيضاً في سورٍ وآيات، وجميعها محدودة في حروف معينة .

ب: إنّ النّهر يجري من العالي إلى السّافل، والقرآن جرى من الغيب الّذي هو فائقٌ على عالم الشهود.

الرابعة: إنّ كلّ بحرٍ مهما كان فهو محدودٌ أيضاً، ولكنّا بعد تشبيهنا علمَه تعالى بالبحر نزّهناه عن كلّ حدٍّ في أيّ صُقع، فلا يَرِد الإشكال بالتّشبيه.

الخامسة: إنّما أردْنا من تعبيرنا بعلمٍ لايحدّ(العلمُ المستفادُ من القرآن) هو عدم المحدوديّة في جانب المستقبل لا الماضي؛ لوضوح المحدودية من ذلك الجانب، أي جانب الماضي.

١ـ فهذا تشبيه حسن لِما كان في القرآن حياة الروح كما أنَّ في الماء حياة الجسم.

٧

(حرف الحاء وما تعلّق به)

أنَّ القرآن منشأ الحياة

حيـاةُ قلـبِ النّـاسِ بـالقرآنِ وإنَّـهُ مـاءُ الحيـاةِ الثـاني

هذا البيت مشتملٌ على نكات:

الأُولى: أنّ حقيقة الحياة لم تُعرَّف بالجنس والفصل الذاتيَّينِ حتّى الآن، فكلّ من عرّفها عرّفها بلازمَيها القريبين، وهما الفعل والدَّرْك.

الثانية:أنّ الإنسان ذو حياتَين: مادّيّة، وغير مادّيّة، فما هو سبب حياته المادّيّة لا يؤثّر في حياته المعنويّة، وكذا العكس؛ فحياة الإنسان حاصلةٌ له في ما لم يَعرُض لَه عاملٌ قويٌّ ليقطَعَ حبل حياته، فربّما كان حيّاً من جهة مادّيّته وميّتاً من جهته المعنويّة؛ فلهذا كان الكفّار أحياءً من جهة مادّيّتهم، وأمواتاً من جهتهم الأخرى.

الثالثة: حصول حياة الإنسان المادّية يتسبّب بالماء والغذاء

والهواء وغير ذلك، وسبب حصول حياته المعنويّة لايكون إلّا بالقرآن (وما يُشْبِهُه قبله في سالف الزمان) لأنّ القرآن ينطق عن الحقايق المفطورة في الإنسان دون الحقايق المجبولة في بدنه أَوفي واهمته. فتحَصَّل أنّ القرآن يكون كماءٍ ثانٍ لحياته الثانية.

الرابعة: أنّ لفظة «الثاني» في عجز البيت يجوز فيها احتمالان:

ألف. أن تكون صفةً للماء، فإذاً يكونُ الإنسان ذا حياةٍ واحدةٍ (على ما هو إنسان) فيكون لفظ الثاني صفةً للماء الآخر الّذي هو سببٌ لتلك الحياة.

ب. أن يكون لفظ الثاني صفةً للحياة، فيكون ذا حياتَين، ولايرد الإشكال بكون «الثاني» لم يجئْ مونَّثاً، وذلك لضرورة الشّعر أوّلاً، ومجازيّة تأنيث الحياة ثانياً.

فمع كونِ الاحتمال الثاني أقوى، يتحصّل أنّ للإنسان من جهته المعنوية حياةً حصوليةً وهي عبارةٌ عن قبوله الحقّ بفطرته ونفوره عن الباطل بها، وحياةً تحصيليةً وهي عبارةٌ عن صيرورته من كونه حيّاً إنسانيّاً إلى كونه حيّاً ربّانيّاً. وفي حياته الأُولى لايحتاج إلى القرآن، كما قال تعالى: ﴿لِيُنْذِرَمَنْ كَانَ حَيّاً ويَحِقَّ القَولُ عَلَى الْكافِرينَ﴾[1]، فيكون المنذِر هو النّبيّ، والْحيّ هو المخاطَب الكافر، لأنّه لم يفقدْ

١ـ يس: ٧٠.

حياته الفطرية الأولى الحصولية. والخطاب الّذي في قوله تعالى: «إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوتَى» [١] متوجّهٌ إلى النّبي بالنّسبة إلى الكفار الّذين فقدوا هذه الحياة الحصولية المذكورة، فتكون هذه الحياة كمقدّمةٍ لحصول الثانية الّتي لاتحصل إلّا بالقرآن (كما أُشير إلىٰ ذلك)، ويشهد على ذلك قوله سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ ولِلرَّسولِ اِذَا دَعَاكم لِمَا يُحْيِيكُم...» [٢].

وأنت خبيرٌ بأنّ إحياء الله مَن شاء بالقرآن لا مورد له إلّا فيما إذا كانت الحياة الأولى التكوينية الفطرية حاصلةً، لاستحالةِ إيمان المؤمنين بدونها.

الخامسة: يُستفاد من التعبير بالنّاس (في البيت) أنّ دور القرآن في إحياء البشر لايختصّ بزمانٍ دون زمان ولا بمكانٍ دون آخر، كما يشهد عليه مِثل قوله سبحانه: «تَبارَكَ الّذى نَزّلَ الْفُرقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكونَ لِلعالَمِينَ نَذيراً» [٣]، فلا يرد إذاً إشكال مَن أورد بأنّ القرآن إنّما نزل لهداية العرب خاصةً، ولايمكن له الاستدلال بمثل قوله تعالى: «ولِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرى ومَنْ حَولَها...» [٤].

١ـ النمل: ٨٠.

٢ـ الأنفال: ٢٤.

٣ـ الفرقان: ١.

٤ـ الأنعام: ٩٢.

تكملة: فتحصّل من جميع ما ذُكر أنّ للإنسان أربع حالاتٍ حياتية:

ألف. حيوانيةٌ متعلقةٌ ببدنه وما يلحق بالبدن من المُيولات والشهوات.

ب. الشّيطانية الّتي مَنْشَؤُها الواهمة أو المتخيِّلة.

ج. الإنسانية الّتي تنشَأ من العاقلة، وبتعبيرٍ آخر الفطرة.

د. الرّبانيّة الّتي منشؤها عالَمُ الغيب أو العالَم الرُّبوبي، فما أعجب الإنسانَ من موجود!

٨

(حرف الخاء)

أنَّ أهل القرآن هم الأخيار

خِيـــارُ أهْلِــه خِيــــارُ الأمَّــــةِ   لَـيسَ لِمَــنْ آنَسَــهُ مِــنْ غُمَّــةِ

توضيحُ هذا البيت يَتوقَّفُ على بعضِ النِّكات كالتّالي:

الأولى: مَن هُم أهلُ القرآن ؟ إنَّ أهلَ كلِّ حقيقةٍ (مِن شخصٍ أو مدينةٍ أوغيرِهما) هم مَن كانوا متعلّقين بتلك الحقيقة بأيّ نسبةٍ كانت من التعلّق، فأهلُ القرآن هم الَّذين يُنسَبون إليه ويَتعلَّقون به، فيكونُ القرآنُ مَنسوباً إليه بِالنِّسبَة لَهم كما في أهل الإنجيل وأهل التَّوراة وغيرِهما.

الثانية: تُطلَقُ الأمَّةُ عَلى جماعةٍ ذاتِ مقصدٍ واحدٍ يَسيرون إليه، بحيثُ لولاه لَتفرَّقُوا وتَشتَّتوا، فحيثُ إنَّ المُسلمين جُمِعُوا تحتَ لواءِ الإسلام ـ ولهُم عقيدةٌ واحدةٌ ومسيرٌ عَمَليٌّ وحيدٌ وسَيرٌ خُلقيٌّ هكذا ـ فإنّهم يَكونونَ أمَّةً.

الثالثة: إنَّ حُصولَ الأهليـة للقـرآن عبـارةٌ عَـن مُناسـبةٍ بـينَ القـرآن وبيـنَهم، وهـي (أي المُناسـبة) تَقبَـلُ التَّشـكيك[١]؛ فَـبعضُ المُسـلمين لهم نِسبةٌ اعتقاديَّةٌ إليه (أي القرآن) فقط لا غَيْرها، وبعضُهم لهم نسبة أكثرَ مِن الاعتقاد، أي النِّسبةُ تَعُمُّ عَملَه وخُلقَه، وبعضُـهم لهـم نسـبة أكثرَ مِن ذلك أيضاً، كقِراءَتِه والتَّدبُّر فيه و... .

الرابعـة: فـي بيـانِ مَرتَبـةِ أهـلِ القـرآن عنـدَ الله، وهـي كمـا قـال أميـر المـؤمنين علـيّ عليه السلام (عَلَـى مـا فـي الغُـرَر): «أهـلُ القـرآن، أهـلُ اللهِ وخاصَّتُه»[٢].

الخامسة: في بيانِ مَأْخَذ هذا البيت، قال النَّبيّ صلى الله عليه وآله: «خيارُكم مَن تَعلَّـمَ القـرآنَ وعَلَّمَـه»[٣]؛ لأنَّ تَعَلُّـمَ القُـرآنِ وتَعليمَـه هُمـا سَـببانِ لِتَـيَقُّظِ القلـوب، وتَنَبُّـهِ العقـول، و إثـارَةِ الفِطَـر وصـيانَتها عَـن تـأثير الغَرائـزِ والأوهام، وبالنَّتيجةِ حصول الصَّلاح فِي المُعلِّم والمُتعلِّم.

السادسة: إنَّ أهل القرآن لا يَحزَنون ولا يُغَمُّونَ بالنِّسبة إلى أُمورهم الدُّنيوية؛ لأنَّهم ساروا إلى مرتبةٍ فكريَّةٍ وفِطريَّةٍ أعلى مِن الدُّنيا وما فيها، فَبِفَقدِ شيءٍ مِن الدُّنيا لا يَغَمُّونَ وبحصولِها لا يَفرحون.

١ـ التشكيك هنا بالاصطلاح المنطقي، و هو بمعنى تفاوت درجات الانطباق ضعفاً وقوّة.

٢ ـ **غرر الحكم**: ١١١.

٣ ـ **بحار الأنوار** ٩٢:١٨٦ / ح٢ ـ عن: **أمالي الطوسي** ١:٣٦٧.

السابعة: إنَّ أهليَّةَ كلَّ شخصٍ مِن المُسلمين مُتفاوتةٌ مع الآخرين، فَالأهليةُ الحَاصلةُ لِبَعضِهم ضَعيفةٌ، ولِبعضٍ أقوَى منها ولبعضٍ آخَر أقوَى مِن الأوَّلَين. فَالحَاصلُ أنَّ الأهليةَ ليسَت عَلى حَدٍّ سِواءٍ بينَهم، فلهذا عَبَّر النَّبيّ ﷺ (أي عَن أصحاب الأهلية المذكورة) بِصيغة التَّفضيل في الحَديث المَذكور آنفاً.

٩

(حرف الدّال والذّال)

دلالة القرآن وذلالة مَن خالَفه

دليـلُ كـلّ حـائرٍمـن حَيْرَتِـهْ	نجاةُ مَن أذنب في شفاعتِهْ
ذلَّ مَنِ استعزّمِن غيرِهُداهْ	ولـم يَنَـلْ قَـطُّ بغيـرِهِ مُنـاهْ

هذان البيتان يَشتملان على نكاتٍ عديدة:

الأولى: في معنى الدليل؛ الدَّليل (كما قيل) هوما يَلزَم مِن العلم به العلمُ بشـيءٍ آخَر، فـلا يَختَصُّ الـدليلُ بـالمعقولات فقـط، بـل يَعُـمُّ المَعقـول والمحسـوس. أمَّـا فـي المعقـول فكوجـدان العلـم بحـدوث العـالَم الَّـذي يَنجَـرُّ إلـى العلـم بوجـود المُحـدِث. وفـي المحسوسـات كـالعلم بالرَّاية التـي تَـدُلُّ السَّـالك إلـى البيـت الَّـذي يَقصُـدُه السَّـالك ولايَجِدُه إلَّا بعدَ رُؤيَته الرَّاية.

الثانية: إنَّ البيـت الثـاني يَتفرَّع علـى الأوَّل، فالصّـلةُ بينَـهمـا صِـلةٌ بين الأصل وفرعِه.

الثالثة: إنَّ كلَّ حقيقةٍ لم يصِلْ إليها عقلُ الإنسان بالنَّظر البَدْوي لِعدم كونِها بديهيةً، تكونُ مجهولةً، فَيُحتاج إلى شيءٍ كي يُوصَلَ بهِ إليها، ويُسمَّى هذا الشَّيء دليلاً، وما ينكشِف به مدلولاً، فالإنسان قبلَ الوصولِ إليه إمَّا جاهلٌ به أو مُتَرَدِّدٌ ومُتَحيِّر.

الرابعة: كلُّ مَن كان فكرُه حُرّاً يَستعمِل فكرَه في مسائلَ غير مادّيةٍ ولا محسوسة، كالسُّؤال: مِن أين وُجِدتُ ومَن أوجَدَني؟ وإلى أين مَصيري؟ وما هي وظيفتي في صَفحة الحياة؟ وما هو الغَرَضُ مِن وجودي؟ فيتحَيَّر هذا الحُرُّ في تلك المَسائل وغيرِها ولايدرِي ماذا يصنَع وما يَختار وأيّ شيءٍ يَترُك.

الخامسة: كلُّ حائرٍ ـ كمَن ذُكرَ وكما أُشير اليه ـ يَنجُو بِدلالةِ القُرآن مِن الحَيرةِ، ويَصِلُ به إلى اليَقين بِالمختار الحَقِّ، ويُمَيِّزُ بين المُتضادَّينِ ويَترُك البَاطلَ منهُما، لهذا أطلَقْنا «الدَّليلَ» علَى القُرآن [1].

السادسة: وَجهُ كونِ القرآن دليلاً فقط دونَ غيرِه، هو أنَّ ما ذُكرَ فِي القرآن إمَّا عقليَّاتٌ مَحضةٌ و إمَّا فائِقَةٌ علَى العُقول: فالأُولى كالعَقائِد والأخلاق، والثَّانيةُ كالعَمَليَّات. فلمَّا كان الإنسانُ أكثَرُه فِي أكثرِ الأوقاتِ غَريقاً في أوهَامِه أو في غَرائِزه فلا شكّ أنّه يكونُ بعيداً عن

١ـ فإذا كان القرآن دليلاً في الدنيا، يكون شفيعاً للناقصين المذنبين مِن أهله، لأنّ كلّ ما كان له دور في هداية النّاس في الدّنيا، يكون له رتبة الشّفاعة عنهم في الآخرة، كالعلماء و الشّهداء وغيرهم، و كالمسجد و القرآن و غيرهما.

عقلِه الأصيل، فضلاً عن ما فوقَه، والقرآنُ يَهدي الى ماكان بعيداً عنه ويُعَلِّمُه ما لايمكن وصولُه بِنَفسِه إليه، وأنتَ خبيرٌ بأنَّ كلَّ ما كان العقلُ مُستَيقِظاً يكونُ العَاقلُ إلى الحَقِّ أَوصَلَ وأَصوب.

السابعة: إذا كان القرآن دليلاً وحيداً لِلإنسانِ لِلنَّجاة مِن الحَيرة ولِلارتباط بِما غَابَ عَن العُقول، فكلُّ مَن زاغَ عن طريقِه وانْحَرفَ عن هِدايتِه كان ضالّاً، وطَلَبُ العِزَّة له طلبُ الذُّل، وهو لا يَشعُرُ بذلك. والنَّهاية هي عدمُ نيلِه لمقصودِه الحَقيقي. فتحصَّلَ معنى البَيتَينِ وتبيَّنَ فرعيَّة الثّاني للأَوَّل.

الثامنة: في الإجابة عن سؤالٍ يُطرَحُ، وهو: ما حاجة الإنسان إلى القرآن بعد كونه مفطوراً بالميل إلى كلّ حقيقة والنُّفُور عن كلّ باطل (في مجالات العقيدة والخُلق والعمل)؟ نقول: إنّ الفطرة الأصليّة من الداخل لاتكفِي للإدراك والنفور المذكورَينِ ما لم يكن القرآن مِن الخارج، كما لاتكفِي العين في رؤية الأشكال والألوان ما لم يكن نور الشّمس أوغيرها من النّيّرات.

التاسعة: يتأيّد محتوى البيتينِ بقوله سبحانه: ﴿ومَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرى فَإِنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنْكاً (في الدّنيا) ونَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى﴾[1].

العاشرة: في بيان طريق العزّة في القرآن: إنّ الإنسان له فطرة وحيدة

١ـ طه : ١٢٤.

لإدراك الحقائق وتمييزها عن الأباطيل، وهي (أي الفطرة) حقيقة ثابتة عامّة لجميع أفراد الإنسان، والعزّة الحقيقية هي ما تُدركه الفطرة، وكلُّ ما لاتميل إليه الفطرة فهو الضّلال، والقرآن يُؤيِّد ما أدركته الفطرة كالحقيقة، وما تنفرُ عنه كالباطل (وهكذا كلّ كتاب سماوي سابق على القرآن). فهذا طريق وحيد للعزّة إذ غيره إمّا أن يكون مختِلطاً بالأوهام و إمّا أن يكون مختلطاً بالغرائز، فتبيّن انحصار طريق العزّ في القرآن ولا غير.

١٠

(حرف الرّاء وماتعلّق به)

أنَّ القرآن مِرآة لله

رؤيـةُ ربِّ العـالمين فيـهِ ممكنـةٌ لقلـبِ مَـن يَعيـهِ
لأنَّـه تَقـوىٰ بِـه العقيـدةْ وَ تُـرْفضُ المَنـاهِج البَعِيـدةْ

إنّ هـذا البيـت مـع تعليقتـه تُبَـيِّنُ فيهمـا فضـيلة مـن الفضـائل القرآنيـة العظمـى، وهـي مسـألة رؤيـة الله بنـوره (أي: بـالقرآن) . توضـيح البيتين يتوقف على ذكر نكات:

الأولى:وقـع اخـتلافٌ بـين المتكلِّمـين والعرفـاء فـي امتنـاع رؤيتـه سبحانه و إمكانهـا، فقـال الأوّلـون بـالأوّل، والآخِـرون بالثّـاني. فـالأوّلون يرفعون اليد عن ظواهر الآيات والأخبار الواردة في المقـام ويُؤَوِّلـون كـلاًّ منهما كالآيات الدّالّة على لقاء الله.

الثانية:لاشكّ في تنزُّهِ البـاري سبحانه عـن الجسمية ولواحقهـا، ولاشكّ أيضاً في كون قلب الإنسان حقيقةً غيرمادّية، ولا شكَّ أيضـاً

في كون حقائق القرآن حقائق غير مادّية. فإذا انتهى الأمر إلى كَوْنِ كلّ من هذه الأُمُور الثّلاثة غير مادّية فلا بُدّ أن يُنْتَهى إلى أَنّه توجد بينها سِنخية لا محالة. فإذا وُجدت السّنخية لاتمتنع رؤيته سبحانه (على معناها الصحيح)، وبهذا البيان يثبت إمكان الرّؤية.

الثالثة: إنّ العرفاء ـ كما أشرنا ـ قالوا بصحة رؤيته سبحانه، ولم يعتقدوا بما اعتقد به المتكلّمون من التّأويل وتقدير المضاف في النّقليات الواردة.

الرابعة: إنّ القرآن ـ كما سبق ذِكره ـ يكون كنور الشّمس لعين الفطرة الباطنيّة، لطهارته (أي القرآن) عن الظّلمات الطبيعة. إذاً فالقرآن يُنيرُ الفطرة وتتنوَّر الفطرة به، فيُرى بها اللهُ سبحانه. إذاً فالحقُّ هو ما قاله العرفاء. أضف إلىٰ ذلك أنّه إذا اعتقد العبد بهذا يشتدّ شوقه ويجتهد في فعله لكي يرى معبوده ومقصوده بل معشوقه.

الخامسة: يؤيّد القولَ المختار الآياتُ والأخبار الكثيرة في المقام، إلّا أنّ التّعبير في كلّ الآيات هو التعبير باللّقاء ونفي الرّؤية، وفي الأخبار كَثُر التّعبير بالرّؤية . كما ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: ما رأيت شيئاً إلّا ورأيتُ اللهَ قَبله وبعده ومعه[1]. وعنه أيضاً، في جواب مَن

---

١ ـ مفتاح السّعادة في شرح نهج البلاغة ١:٦٧.

قال له: هل رأيت ربّك؟ ـ: ما كنتُ أعبد ربّاً لم أَرَه [١].

السادسة: ينبغي هنا توضيح المعنى الصحيح للرّؤية، فقد توهّم المتكلّمون بأنّ القول بالرّؤية ينجرُّ إلى المحال في حقِّه سبحانه، والحقُّ أنّه ليس كذلك. لأنّ كنه ذاته سبحانه ممتنع الإدراك قطعاً، والمراد بالرّؤية هنا شدّة العقيدة بوجوده تعالى ووجود صفاته سبحانه دونَ أيِّ هويّة له ممتنعة عليه، بحيث تكون العقيدة خارجة عن العلم والاستدلال لمَّا انعكست هذه الحقيقة في مرآة الفطرة الصّافية، فتكون هي (أي العقيدة) أبين مِن المرئيّات البصريّة، كما أنشدنا في تعليقة البيت؛ لأنّه تقوى به العقيدة (بالأدلّة القرآنيّة أوّلاً) ويحصل به صفاء الفطرة، ثمّ تَرقى مِن رتبة العلميّة إلى العينيّة الباطنية (ثانياً).

السابعة: حصيلة ما تقدّم مِن البيان هي: أنّ المؤمنَ يستفيد من الأدلّة القرآنيّة العلميّة قوّة الإيمان، ومن الأوامر العمليّة القرآنيّة (في الأفعال وخصوصاً في التّروك) يحصل له صفاء الفطرة، ويرتفع أيُّ غبارٍ مكدِّر في فطرته، وبالنّتيجة يكون معقولُه أقوى من محسوسه، بحيث لو أمكن وقوع الرّيب له في المحسوس لايَرتاب في توحيده قطّ.

١ـ **الكافي** ١:٩٧ / ح٦.

١١

(حرف الزّاء وما تعلّق به من أبيات كثيرة)

ردّ القول بتحريفه وما يُناسِبُه

مَن قال بالتَّحريفِ فِي القرآنِ   زُورٌ وكَــذْبٌ ومِـــنَ البُهتـــانِ

توضيح البيت مع متعلقاته الآتية يتوقّف على نكات كثيرة:

الأولى: أنّ الزّور والكذب متقاربا المعنى، وجامعهما خلافُ الحقّ. والبهتان هو إسناد قبيح إلى بريء بحيث يصير البريءُ مبهوتاً والبهتان والتُّهَمَةُ متّحدان مصداقاً، ومتغايران مادّةً.

الثانية: التّحريف تفعيل من الحَرْف، وهو توجيه الشّيء ممّا كان عليه من الحقّ إلى الباطل. وهو في المقام على قسمَينِ: لفظيّ ومعنويّ. فما وقع من التحريف مع الأسف في القرآن هو الثّاني. لهذا صُنعت مذاهب باطلة كثيرة منسوبة إلى القرآن بعد رحيل النّبيّ ﷺ وهنا لايسع المقام ذكرها وذِكْر كيفية إسناد المختلقين إيّاها للقرآن. وما سَتسمع بطلانه فيما يأتي إن شاء الله هو القسم الأوّل من غير أن

نذكر أسماء القائلين به.

الثالثة: أنّ القائلين بالتّحريف يُكذّبون الله عزّوجلّ فيما وعد بحفظه له (أي القرآن)، ويُكذّبون النبيّ ﷺ و الأئمّة عليهم السلام في تأييدهم لهذا القرآن الّذي في متناول الأيدي. وكذلك يرتكبون البهتان؛ وببهتانهم النّاشئ مِن قولهم بالتّحريف يصير كلّ مسلم مُحَقِّق مبهوتاً.

الرابعة: يقول القائلون بهذا القول أنّه قد نقص مِن القرآن آيات بل سورة مستقلَّة وحُذف من بعض آياته شيء ونحو ذلك.

لأنَّ مَن جاء به معصومُ ومَن أتى مِنْ عِندهِ حَكِيمُ [1]

هذا أوّل بيتٍ من الأبيات الآتية المتعلّقة ببيتِ المتن (زورٌ وكذبٌ و...)، و هنا عدّة نكات:

الأولى: نخوض هنا في تبيين بطلان القول بالتّحريف، ونقول: ما يخلو من أنَّ التّحريف إمّا أن يكون وقع مِن قِبَل مبدإ النّزول (وهو الباري سبحانه)، أومن قِبَل سبب نزوله (وهو جبرئيل عليه السلام)، أومن قِبل الآتي به إلى النّاس (وهو النّبيّ ﷺ)، أومِن قِبَل مَن أتى إليهم (وهم الأُمّة المسلمة)، أومن قِبَل أعداء الدّين من الكفّار أو المنافقين. وسيثبُت بطلان كلٍّ من هذه الاحتمالات بعون الله تعالى.

١ـ تقديم دليل العصمة على الحكمة لضرورة الشعر أوّلاً، و لأقربيّة النّبيّ ماهيّةً (لاوجوداً) إلى النّاس ثانياً، وإلّا كان الحقّ عكس التّرتيب.

الثانية: فرض الاحتمال الأوّل ـ وهو وقوع التّحريف من الله ـ باطل بدليلَينِ: عقليّ و إيمانيّ، أمّا العقلي، فهو امتناع [١] علم النّاس بكيفيّة القرآن وأوضاعه وخصوصيّاته على ما في علم الله قبل نزوله (قال سبحانه: ﴿... ولا يُحيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلَّا بِما شاءَ ...﴾ [٢]) حتّى يَقيسوا أوضاعه السّابقة مع اللّاحقة فيقِفوا على تحريفه.

وأمّا الإيماني، فهو أنَّ كلّ موحّد يعتقد بحكمة الله البالغة في جميع أفعاله، والحكيم هو مَن يفعل كلّ فعل في أتمّ مصالحه مع عدم أدنى عيب في الفعل، فإذا كان التّحريف من قبله سبحانه يلزم خلاف الحكمة في إنزال القرآن؛ لعدم حصول ذلك (المصلحة مع عدم العيب).

الثالثة: أمّا وقوع التّحريف من قِبل الجائيَينِ به فهو باطل أيضاً؛ لثبوت العصمة (قد سبق تعريف العصمة) فيهما (أي النّبيّ وجبرئيل)، فحيثُ يستلزمُ التّحريفُ خلافَ العصمة تَثْبُت استحالته [٣].

وصونُهُ ضرورةٌ في الأُمّةِ   وإنّه قرينُ أهلِ العصمةِ
كُلٌّ منَ العصمةِ والصِّيانَةْ   تُلازمُ الأُخرى بلا خيانةْ

١ـ و هذا الامتناع هو امتناع ذاتيّ.

٢ـ البقره: ٢٥٥.

٣ـ و هذه الاستحالة هي وقوعيّة لا ذاتيّة، كجَرح أُمٍّ عطوفٍ وَلَدَها.

في توضيح هذين البيتينِ نكات:

الأولى: ذكرُ دليلَينِ آتيَين فيه على المراد؛ أنَّ صيانة القرآن من الضروريّات المِلَّية في الأُمّة المسلمة، أي أنَّها إجماعيّة لا يُنكرُها مسلم، فلو تحرّف لما تَلَقَّته الأُمّة بأجمعها خلافَ التحريف طيلةَ هذه القرون.

الثانية: تنقسم الضّرورة أربعة أقسام (المذهبيّة، والملّيّة، وبين الملليّة، والعقليّة أو العقلائية). وهي (أي الضّرورة على أيّ قسم) ما لم يختلف فيه اثنان لشدّة ظهورها، بحيث لو أنكرها أحد لخرج من العقيدة الّتي هو فيها.

الثالثة: (وهي ثاني الدّليلَين) أنَّ النّبيَّ المعصوم قَرَنَ القرآن بالمعصومين من آله في قوله المتواتر المعروف بحديث الثّقلين[١].

وأنت خبير بأنَّ المتواتر يُفيد العلم القطعيّ أوّلاً، والقرين بالمعصوم يلزم صيانته و عصمته ثانياً، و إلّا لَما كانا متقارنَين ثالثاً.

الرابعة: أنَّ المرادَ من أهل العصمة هم عليّ وزوجته الصّدّيقة الطّاهرة فاطمة وأبناؤُهما الأَحَدَ عشر، الحسنان وأولاد الحسين التّسعة عليهم السلام.

الخامسة: ذكرَ النّبيّ صلى الله عليه وآله الثقلين وعدم ضلالة الأُمّة ما تمسّكت

١ـ الّذي سنذكرُه في المحلّ المناسب إن شاء الله.

بهما، وبهذا تثبُتُ صيانة القرآن وعصمة الآل، إذ لولا أحدهما (الصيانة والعصمة) لَضلّت الأُمّة كما تضلّ بِعَدمِهما معاً.

السادسة: حاصل الكلام: تُفرَض ضلالة الأُمّة كما يلي:

ألف. وجود عصمة الآل مع تحريف القرآن.

ب. وجود صيانة القرآن مع كون الآل غير معصومين.

ج. عدم عصمة الآل وعدم صيانة القرآن. (معاذ الله من هذه الأقوال الضالّة المُضِلّة!)

فبهذا التّقريب يلزمُنا إمّا القول بالصّيانة والعصمة، أو لزوم الكذب في قول النّبيّ ﷺ بِعَدَم الضّلالة في التمسّك بهما. فحيث إنَّ الكذب في قول النّبيّ المعصوم مُحال، يحصل العلم القطعيّ بعصمة الآل وصيانة القرآن.

لو أمكن تحريفُه لأمكَنا　　　إتيانُ مِثلِه لكلّ مَن عَنىٰ

وحيث يَستحيلُ ذا الإتيانُ　　　يُخالف تحريفَهُ البرهانُ

إيضاح البيتَينِ يتوقّف على عدَّة نكات:

الأولى: أنت خبير بأنَّ الإمكان إمّا ذاتيّ و إمّا وقوعيّ. فالإمكانُ المنفيُّ المبحوث عنه هنا هو إمكان التشابُه الذّاتي (المعدوم) بين القرآن وكلام البشر.

الثانية: وأنت خبير أيضاً بأنَّ حُكْمَ الأمثال (في الإمكان أو الاستحالة أو في الجواز وعدمه) واحد.

الثالثة: لو أمكن تحريف القرآن لوَقَع التّشابه بين القرآن وكلام

البشر، فكما أنَّ تحريف كلام البشر ممكن، فكذلك يُمكن تحريف القرآن (للتّشابه بين الكلامَين). والحقّ خلافه؛ إذ القرآن فائق على كلام البشر فلا يُمكن وقوع التّشابه، لذا يمكن التّحريف في كلام البشر ويستحيل في القرآن.

الرابعة: تتأيّد الاستحالة المذكورة (آنفاً) بشهادة القرآن؛ إذ القرآن يَحكي عن عجز معاصريه عن الإتيان بمثل القرآن كلّه أو مثل بعضه، وذلك في قوله سبحانه: **﴿وإنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ﴾** [1]، **﴿أمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ﴾** [2]، **﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ والجِنُّ عَلى أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَو كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهيراً﴾** [3].

الخامسة: يتأيّد المراد بواقع التّاريخ أيضاً، وذلك من وجوه:

ألف. عجز المعاصرين للقرآن ووصفهم له بكونِهِ فوق كلام البشر.

ب. كون أعدائه لجؤوا إلى القتل والسّبي والنّهب مع كونهم حَذَقَة البلاغة والفصاحة ومَهَرَة الشّعر والكلام، فلو كان بأمكانهم معارضة القرآن لعارضوه وأبطلوا إعجازه واستراحوا من عناء القتال.

١ـ البقره: ٢٣.

٢ـ هود: ١٣.

٣ـ الإسراء: ٨٨.

ج. إنَّ البشر عامّة عالِمُونَ بتحدِّي القرآن هذا طيلة أربعة عشر قرناً، ومع ذلك لم يتمكن لهم البراز تجاه القرآن.

د. خِزي المُتنبِّئين من صناعتهم أراجيف الأقوال وزخارف الكلام. (فتدبّر)

السادسة: بعد أن ذكرنا في بيت (لو أمكن..) الاستحالة مُلوِّحين، نذكرُها هنا مُصَرِّحين بذلك، وهو قولُنا: (وحيث يستَحيل...).

السابعة: البرهان والدّليل هما حقيقةٌ واحدةٌ وهو ما يثبت به المراد، إلّا أنَّ للبرهان وضوحاً ليس في الدّليل بما هو الدَّليل. وأُريد بالبرهان هنا ما ذُكرَ آنفاً من الاستحالة الذاتيّة لإتيان البشر مثلَه كلّاً أو بعضاً.

بِكثرةِ الْحُفَّاظِ والْكتَّابِ صِيانةُ القرآنِ دُونَ عابِ
لَو حُرِّفَ لَم يَصبِرْ أيُّ صَابِرِ فَصَونُهُ يَثبُتُ بِالتَّواتُرِ

هذانِ البَيتان تَضَمَّنا ذِكرَ دليلٍ محكمٍ علَى المُراد. وهو يَتَوَقَّفُ على ذكرِ نكات:

الأولى: أنَّ للقرآن في زمَن النَّبيّ ﷺ حُفَّاظاً وكتّاباً كثيرين؛ لأنّهم آمَنوا بمَا فِي حفظِ القرآن وكتابتِه من فضائلَ عُظمَى، و أنّ لِلحافظ والكاتب درجاتٍ عليا[1].

١ـ كما رُوِيَ عن النَّبيّ ﷺ: أشراف أُمّتي حملَةُ القرآن وأصحاب الليل. (**بحار الأنوار**، ٩٢:١٧٧ / ح٢ ـ عن: **معاني الأخبار** للصدوق: ١٧٧.)

الثانية: أنَّ كلّاً مِن الطَّائفتَين المَذكورتَين (الكتّاب والحفّاظ) ناظرةٌ إلى فعلِ صاحبَتِها، فكانت الحافظةُ تقيسُ محفوظاتِها مع المكتوباتِ الأُخرى، وكذا الكاتب. وهم قد اشْتَهَروا بِحُفَّاظ الوحي وكتَّابه، فَما وُجِدَ مِن نقيصةٍ أوزيادةٍ أوغيرِهما يُرْفَعُ ولم يَبقَ شيءٌ كمَنسيٍّ أو اشتباهٍ أوسَهو وغيرِ ذلك.

الثالثة: لا شُبهةَ في كثرةِ حُفّاظِ الوحي أوّلاً، وفي كثرةِ كُتّابه ثانياً، ومُقابلَةِ بعضِ الحُفَّاظ محفوظاتِه معَ محفوظاتِ آخرين، وأيضاً مُطابقَةِ بعضِ الكتَّاب مكتوباتِه معَ مكتوباتِ آخَرين ثالثاً، ومقابلَةِ الكتَّاب مع محفوظاتِ الحُفَّاظ رابعاً. ولاشكّ أيضاً فِي حصولِ العَدَماتِ الثَّلاثةِ: عدم الاختلافِ بينَ الحافِظين، وعدم الاختلافِ بينَ الكاتِبين، وعدم الاختلافِ بينَ الطَّائفتَيْن، واعتقاد جميعِ آحادِ الأُمَّةِ بعدمِ هذا الاختلاف، فيَحصُلُ التَّواترُمِن ذلك كلِّه بصِيانَةِ القرآن وتَطمَئِنُّ النَّفْسِ بِها.

الرابعة: حصيلةُ حفظِ الحفَّاظ وكتابَةِ الكُتّاب هي صيانةُ القرآن، وحيثُ إنَّ أهل الطَّائفتَيْن كانُوا مِن مَوثُوقِي الأُمَّةِ ـ ولاسيَّما بملاحظة تأييد النَّبيّ ﷺ عَمَلَهُم ـ يُعلمُ أنَّ صيانةَ القرآن حقيقةٌ متواترةٌ مفيدةٌ لِلعلم مُزيلةٌ لأيِّ شكّ وريب، بحيث لولَم تَثبُتْ بل وَقَعَ التَّحريف (معاذ الله تعالى) لم يَصبِرْ على التَّحريف أيُّ صابرٍمِن آحادِ الأُمَّة، فضلاً عن مَن لا صَبْرَ له، ولَكَانَ يَشتَهِرُ في التّاريخِ ثَورَةُ الأُمَّةِ

على تلك المُصيبة العُظمى، فحيثُ لم تُضبَطْ قصَّةٌ كهذه نَتَيَقَّنُ معَ سُكونِ النَّفْس واطْمِئنانِها بِأنَّ القرآنَ الموجودَ في أَيدينا هو عينُ ما كان في أيدِيهم.

الخامسة: في معنى التَّواتر؛ أنَّ المتواتِر(كما أُشيرإليه سابقاً) هو حقيقةٌ مفيدةٌ لِلعلم لكثرةِ ناقلِيه المَوثوقِ بِهم، فلولا الكثرةُ لايَحصُلُ العِلم، وكذا في ما إذا لم يكونوا مَوثوقين، وما كان دونَ المُتواترِ كالْمُستَفيض والمشهور يُفيدُ الظنَّ القويَّ دونَ العلم، فصيانَة القرآنِ مِن المتواترات ولِلهِ الحَمد.

لَم يَقع التَّحريفُ في مَا سَبَقا   إلّا بناسخ أَتاهُ لَحِقا
وحيثُ لا ناسخَ للقرآنِ   قولٌ به مِن أفحشِ البُهتانِ

هذانِ البيتانِ في إبطالِ التَّحريف يحتويان على ذكر دليلٍ على المرادِ مع عدَّةِ نكات:

الأولى: أنَّ لهذا الدليل صلةً بالنَّسخ، فيَجبُ التَّكلمُ في النَّسخ فنقول: إنَّ الأُصولَ الأخلاقيةَ والعقيديةَ في أيِّ كتابٍ أو في أيِّ موضِعٍ آخَر هي حقائقُ ثابتة غيرُ قابلةٍ لِلنَّسخ أبداً، ولكنَّ الشَّرعيَّاتِ قابلةٌ للنَّسخ مِن حيثُ تعلُّقِها بالبُعدِ المادِّي لِلإنسان الْمتغيِّر(المتغيِّرُ وصفٌ للبُعد).

الثانية: حَقيقةُ النَّسخ عبارةٌ عَن إزالةِ العمل بحُكمٍ (مع بقاءِ أصله) بِإتْيانِ حُكمٍ آخَر ووجوبِ العملِ بِالجديد. فَيُسمَّى المُقدَّم مَنسوخاً والجديدُ ناسخاً.

الثالثة: كلُّ ما كانَ وجودُه أو بقاؤُهُ مُتعلِّقاً بالغيرِ سُمِّيَ معلولاً، ويُسَمَّى الغيرُ علةً، فَما لم تكن علةٌ لم يكنِ المعلولُ؛ لِافْتقارِهِ إليها واسْتِحالةِ وجودِه بِدونِها.

الرابعة: لو وقع تحريف القرآن (معاذ الله) لوجب أن يكونَ لذلك التحريف علّةٌ، ولا تُتَصَوَّرُ العلّةُ إلّا كما وَقعَ في السَّوابق مِن الكتب، وهِي تَفويتُ المصالحِ والمنافعِ الدنيوية لِعُلماءِ كلِّ كِتابٍ بنزولِ كتابٍ جديدٍ، كعُلماءِ اليهود المُحَرِّفين للتوراةِ بِنُزول الإنجيلِ مع تَعَرُّض منافعهم للخطر بمجيء الأحكام الجديدة في الإنجيل. فقرّروا اتِّباعاً لِلهوى ـ أن يُحَرِّفُوا حقائِقَ كتابهم لِكي يَحفَظوا مقامَهم مِن أيّ خَطر[1].

الخامسة: يَستَحيلُ وقوعُ تحريفٍ كهذا لِلقرآنِ مِن قِبَلِ علماءِ الإسلامِ لِعَدَمِ خوفِهم من نزول كتابٍ جديد؛ لأنَّ القرآنَ ناسخٌ (للكتب السّابقة) غيرُ منسوخٍ. فَعِلَّةُ النَّسخِ إذاً مُنتَفية، فَإذا انْتَفَتِ العِلَّةُ يَنتَفِي المعلولُ وهو التَّحريفُ بلا ريبٍ، فيَبقَى وقوعُ التَّحريف ـ معاذ الله ـ مِن خارجِ الأُمّةِ الّذي سَنتكلَّم في إبطالِه إنْ شاءَ الله،

١ـ لاريب في وقوع التحريف في الكتب السّماوية قبل القرآن، و الشّاهد على ذلك الأقوالُ و الآراء المتناقضة فيها و المخالفة لصريح العقل، كنسبة الكفر و الزّنا وعبادة النّساء إلى الأنبياء المعصومين عليهم السلام، و كمسارعة يعقوب مع الله سبحانه، وأمثال ذلك كثيرة جدّاً.

فيكون القولُ بتحريفِ القرآنِ مِن عظيمِ البُهتانِ وأفحشِه.

نَواسِخُ الآيَاتِ فِي الكتابِ نَادِرَةٌ عندَ أُولِي الأَلْبَابِ
والنَّسخُ فِي التَّشريع لاتَكوينا لِأَنَّهُ الفَرعُ ولَيسَ دِينا

هذان البيتان يحتويان عدّة نكات:

الأُولى: أنّ محل بحثنا هو إبطال القَول بالتَّحريف، ولكنْ أَلْجَأَتْنا المُناسبة إلى أن نَتكلَّمَ قليلاً في النَّسخ ثمَّ نعودُ إلى التَّحريف إن شاءَ الله.

الثانية: أنّ التَّناسخُ بينَ الآيات الأحكاميَّةِ هوغيرُ التَّناسخ الَّذي يقولُ به مَن أَنكرَ المَعاد؛ لأنَّ بينَهما بَوْناً بعيداً.

الثالثة: أنّ النَّسخ عبارةٌ عن إزالة حُكمِ موضوعٍ سابقٍ (مع بقاء الموضوع) بإتيانِ حكمٍ جديد.

الرابعة: إذاً يَقعُ التَّناسخُ في الأحكام الشَّرعيَّة المُتفرِّعة علَى الحَقائقِ الثَّابتَة (الدِّين).

الخامسة: ما يُستفادُ مِن كتب التَّفاسير القَديمة (مع الأسف) هو وقوعُ النَّسخ في الأحكام كثيراً، ولكنَّ العَلَّامةَ المحقِّقَ سماحةَ آية اللهِ العُظمى الخُوئي[١]، وكذا المحقِّق الكبير سماحة السيّد هبة الدين الشهرستاني[٢] رحمةُ الله عليهما، لا يعتقدان بذلك، بل يقولان ـ

١ـ راجِع البيان في تفسير القرآن: ٣٠٤-٤٠٣.

٢ـ راجِع تنزيه التّنزيل.

مُستَدِلَّيْنِ ـ بأنَّ النَّسخَ نادر.

السادسة: النَّاسخُ والمَنسوخ مُتضايِفان لا يُتصوَّرُ أحَدُهما بِدون الآخَر، فَكلّما كان عَددُ النَّواسخِ يكونُ هذا العَددُ في المَنسوخات. فعددُ النَّواسخ لايَبلُغُ خَمْساً، فتكونُ المنسوخاتُ كذلك.

السابعة: حكمةُ النَّسخ، في الأحكام المُتعلِّقَةِ بالبُعد المَادِّيِّ لِلإنسان في الفَرد والمُجتمع، تكونُ كحكمةِ تَجويز الطَّبيبِ لِمريضِه دواءً في أيامٍ قَلائلَ، ثمَّ يُغَيّرُه بتجويزِ دواءٍ آخَر ومنعِ استعمالِ السابق، فكما لايَردُ الإشكالُ علَى الطَّبيب في تجويزِه الأوَّل ونَهيِه عَنه فِي مابعدُ، كذلك لايَسَعُ المستشكل أن يستشكل في نَسخِ الأحكام.

الثامنة: أمَّا علَّة شذوذِه وردِّ قولِ القَائلين بِكثرةِ وقوعِه فهِي جامِعيَّةُ الأحكامِ وعدمُ الحَاجةِ إلى كثرتِه. ومثالُهُ أيضاً كتَجويزِ طَبيبٍ حاذقٍ فِي طبِّهِ دواءً دائِمَ التَّأثير دونَ الموارِدِ النَّادرة.

التاسعة: وأمَّا علَّةُ عدمِ وقوعِ النَّسخ في الدِّين مطلقاً فهِي عدمُ تَبدُّلِ الفِطرة الإنسانيةِ ووجودُ الثُّبات فيها وتَعلُّقُ الدِّين بها، فكما لا يُمكنُ التَّبَدُّلُ والتَّغيُّرُ في الفِطرة هكذا يكونُ فِي الدِّين.

قَد وَقَعَ فِي الشَّرعِ كالبَداءِ　　فِي عَالَمِ الكونِ بِلَا خَطَاءِ
ووَقَعَ مِنْ قِبَلِ العَلَّامِ　　كمَا اقْتَضَتْ مَصْلَحةُ الأَنَامِ

توضيحُ البَيتين يحتوي على نكاتٍ:

الأُولى: قد اشْتَهَر بينَ العُلماء أنَّ النَّسخ في التَّشريع هو كالبَداءِ

في التَّكوين. وقد ذَكرْنا في ما مضى مَعنى النَّسخ، فَهُنا يَلزَمُنا ذكرُ معنَى البَداء، فنقولُ: إنَّ لِلبَداء ثلاثَة معانٍ: لُغويٌّ وعُرفيٌّ وعِلميّ. فالمعنى اللُّغوي هو الظُّهور، كما يُقال: «بَدا لي أن أفعَلَ كذا»، أيْ ظَهَرَ. وأمَّا العُرفي، فهو النَّدَم. وأمَّا العِلمي فعبارةٌ عن إخفاءِ اللهِ امراً عن العبادِ وهم يَفهمونَه خِلافَ ما أخفاهُ الله، ثُمَّ يُظهِرُه اللهُ لهُم، كمُواعَدَتِه موسى عليه السلام الذي فَهِمَ العبادُ مِنه ثلاثينَ لَيلةً، مع أنَّ ما أخفَى اللهُ عليهم هو الأربعون.

الثانية: أنَّ القَولَ بالبداءِ على معناهُ الصَّحيحِ هو مِن العَقائدِ الخَاصَّة بِالشِّيعة، والشِّيعةُ مُنزَّهونَ عن معناه الغَلط الَّذي ينسبُهُ إليهم العَامَّةُ ويَبهتونَهم به. والقَول بالبداءِ صحيحاً يُعَدُّ مِن المَسائل التَّوحيدية في الأفعال، و بِدونِه لايَكمُلُ التَّوحيد.

الثالثة: وقوعُ البَداء في التَّكوين لهُ مَصلحةٌ تَكوينيَّة، ووقوع النَّسخ في التَّشريعِ لِحُصولِ مَصلحةٍ شرعيَّةٍ، ولا يَنجَرُّ أيٌّ مِنهُما إلى جَهلِه سبحانَه معاذَ الله، لأنَّه سبحانه (كما مثَّلْنا) يكونُ كطبيبٍ رحيمٍ حاذقٍ يَعمَلُ لِبُرءِ مَريضهِ علَى حَسَبِ تَغيُّرِ أحواله.

كلامُهُ اللّفظيُّ حادث كما ... معناهُ في علمِ القديمِ قَدُما
فيُجمَعُ بينَ المقالتينِ ... ويُرفَعُ التّناقُضُ في البَيْنِ
من قال بالنّفسيّ قسماً آخرا ... مِنَ الكلام خالَفَ التَّبادُرا

تشتمل الأبيات على عدّة نكات:

الأُولى: لاشكَّ في إطلاق الكلام على القرآن، فيُعَدُّ إذاً كلامَهُ

سبحانه؛لإنباء الله به نبيّه عن مراده الأقدس.

الثانية: إذا كان الله سبحانه متكلِماً، وكان التكلُّم من صفاته الذّاتية، فهنا يُعقَلُ الاختلاف في حدوث الكلام وقِدمه حتّى يقام البرهان على صحّة أحد القولين. ولكنَّ كَوْنَ التّكلّم من الصفات الذّاتية ممنوع، ومع الأسف ذكره المتكلِّمون بين الصّفات الثّبوتية. ودليل منعه هو أنّ المعتزلة والإمامية يفسّرونه بإيجاد الحروف والأصوات في جسم من الأجسام، فواعجباً! كيف يمكن كون الإيجاد أو الخَلق من الصِّفات الثّبوتية[1].

فحاصل القول أنّه لامجال لهذا الاختلاف من أساسه.

الثالثة: انقسم الكلام بزعم الأشاعرة قِسمَين: لفظيّ ونفسيّ. فالمراد باللّفظي ما يَتعارفه النّاس، وبالنَّفسي ما في نفس المتكلّم.

الرابعة: أمّا قولهم باللّفظي فصحيح، وأمّا بالنّفسي فليس إلّا إبداعاً واختراعاً منهم، وليس له قائل سواهم، لعدم إطلاق الكلام على ما في النّفس.

الخامسة: إن كان إطلاق الكلام على ما في النّفس صحيحاً كما زعموا، فلا يصحّ التّعبير بالنّفسي في حقّه سبحانه إلّا بالمُسامحة؛ لتنزّهِه تعالى عن النَّفْس.

١ـ و قد أوردنا هذا الإشكال بعينه عليهم في تعليقاتنا على كتاب (الباب الحادي عشر).

السادسة: لاشكّ في حدوث الكلام اللّفظي عند الفريقينِ، ولكنّ الأشاعرة قالوا بقِدم النّفسي فيه سبحانه (وهو زائد على ذاته الأقدس). وليس لهم دليل على ثبوت النّفسي إلّا بيت الأخطل الشاعر المسيحي حيث قال:

إنَّ الكلام لَفي الفؤاد و إنّما جُعل اللّسانُ عَلَى الفؤادِ دَلِيلا

السابعة: أنّهم قالوا بقِدم كلامه النّفسيّ سبحانه. ومرادهم به هو معنى الكلام كما أشرنا. ويُرَدّ عليهم بعدم إطلاق الكلام على المَعنى أوّلاً، وبعدم زيادة صفاته على ذاته ثانياً، وقِدم عِلمه الّذي معنى الكلام يُؤدّى منه ثالثاً. فلا نزاع أيضاً في البين، ويُرفع بذلك التّناقض في كلامه سبحانه بين حدوثه وقدمه، إذاً العلمُ (وهو عين ذاته الأقدس) قديمٌ، والإيجاد ـ وهو صفةٌ فعليّةٌ ـ حادثٌ.

الثامنة: استدلّت الأشاعرة بإطلاقهم الكلام على المعنى الّذي في نفس المتكلّم ببيت الأخطل، وهو مردود بوجهَينِ: الأوّل: أنّه مخالف للتّبادر. فنقول إيضاحاً للمرام: إذا رجعنا إلى كلّ عاقل من الخاصّ والعام، وسألناه عن معنى الكلام، فإنّه يُجيبنا بأنّ الكلام هو ما يُتلفَّظ به ويُسمَع، ولايقول غير ذلك. والوجه الثاني هو أنّ مادّة «ك،ل،م» معناها الجرح، فإذا تكلّم المتكلّم بأجهزة الكلام، فإنّه يقع مِثل جرح في المخاطَب، ولايقع شيء كهذا إذا أراد معنىً في نفسه من غير تلفُّظٍ به، فحينئذ يُحكم بوقوع الغلط في بيت الأخطل أيضاً

إذ لم يُظفَر على معنى هذا الادّعاء عند غيره من الشعراء.

آياتُهُ شواهدُ الأئمّةْ على مراداتِهِمُ للأمّةْ
فكيف يُستشهَد بالمحرَّفِ لأنَّ فيه ضِلّةَ المُكَلَّفِ

البيتانِ متضمّنان للنكات التالية:

الأُولى: لايبقى للمُتتبّع ريب في أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام كانوا يستشهِدون ويستدلّون بكثير من آيات القرآن الموجود، فاستشهادُهم هذا دليل ـ أو مؤيّد ـ على بطلان التّحريف، وعلىٰ ثبوت صيانة القرآن. ومن جملة استشهاداتهم ما استشهدَ به أمير المؤمنين عليه السلام في قضيّة خلقة آدم عليه السلام وأمره سبحانه الملائكةَ بالسّجود له[1]: ﴿... اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ...﴾[2]، و﴿... فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[3]. وكما في قضيّة إيجاب الحجّ استشهد[4] بقوله سبحانه ﴿...وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ﴾[5]. وأيضاً كما في الخطبة الثالثة من نهج البلاغة حيث استشهد عليه السلام على مراده في قصّة أمرِ الخلافة بقوله

١ـ نهج البلاغة: الخطبة ١.

٢ـ البقرة: ٣٤.

٣ـ الحجر: ٣٧، ٣٨.

٤ـ نهج البلاغة: الخطبة ١.

٥ـ آل عمران: ٩٧.

تعالى: ﴿تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذينَ لا يُريدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ ولا فَساداً والعاقِبَةُ لِلْمُتَّقينَ﴾[1].

هذه نماذج قليلة من الكثير مِن الشّواهد الّتي استشهد بها أمير المؤمنين عليه السلام وحده. فلاحِظ أيّها القارئ الكريم ما يبلغ من العدد ما استشهد به سائر الأئمّة عليهم السلام، ولاحِظ أيضاً التفسير الضخم المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام حيثُ فسّر القرآن كلّه أو أكثر آياته.

الثانية: لو كان القرآن محرّفاً ـ معاذ الله ـ لَما استشهد المعصوم به، لأنّ استشهاده به يكون إغراءً بالقبح أوّلاً، وتأييداً للمحرَّف الباطل ثانياً، وهو ينافي عصمته ثالثاً، وهو منافٍ لحكمة جاعله للإمامة رابعاً، وهكذا منافٍ لأمره سبحانه بالاتّباع لهذا الكتاب خامساً. ومن الأوامر الّتي أمر الله تعالى فيها باتّباع القرآن قولُه سبحانه: ﴿ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدىً لِلْمُتَّقينَ﴾[2]، و﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذى أُنْزِلَ فيهِ الْقُرآنُ هُدىً لِلنّاسِ وبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى والْفُرْقانِ...﴾[3]، و﴿هذا بَيانٌ لِلنّاسِ وهُدىً ومَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقينَ﴾[4]، و﴿إِنَّ هذَا الْقُرآنَ يَهْدى لِلَّتى هِيَ

١ـ القصص: ٨٣.

٢ـ البقرة: ٢.

٣ـ البقرة: ١٨٥.

٤ـ آل عمران: ١٣٨.

أَقْوَمُ ويُبَشِّرُ المُؤْمِنينَ الَّذينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبيراً﴾[١].

الثالثة: حرف الفاء (فكيف) هنا تفرعيّة، أي إذا كان هذا القرآن شاهداً على مرادات أهل العصمة في إجاباتهم ونيل مقاصدهم، كان هذا أصلاً. ويتفرّع عليه إلزام الخصم، بفاء التّفريع، فيكون حاصل الكلام: لو كان القرآن محرّفاً لم يستشهد المعصوم به لكونه إضلالاً وإغراءً بالجهل.

الرابعة: إنّ التّقابل بين الهداية والضّلالة، ـ بمعنى عدم الهداية ـ هو تقابل التّناقض، فإذا تحرّف القرآن ـ معاذ الله ـ، واستشهد المعصوم بآياته، واعتمد المكلّف على صيانة القرآن وعصمة المستشهِد به، فإنّه يَضلّ في جميع ما أرشده القرآن إليه، أي لا يُصيب الحقّ الواقع الّذي أراده الله منه، وإلّا يَلزَم القول بالجمع بين النّقيضَينِ (أي الهداية والضّلالة)، فحيث هو محال يبقى إمّا اهتداء المكلَّف أو ضلالته. وحيث لا شبهة في عدم وصوله إلى الحقّ الواقع يكون ضالّاً قطعاً.

قَدْ وَعَدَ اللهُ بحفظِهِ أَضِفْ إليه أنّهُ بعزٍّ قد وُصِفْ

فيه نكات:

الأُولى: لاشكَّ في صدق وعده سبحانه وامتناع تطرُّق الخُلف

١ـ الإسراء: ٩.

إليه عقلاً ونقلاً. أمّا عقلاً، فلأنَّ خلف الوعد يَنشأُ إمّا من العجز عن ترك الوفاء أو الجهل بقبح الخُلف أو الحاجة إلى الخلف وترك الوفاء أو العبث في الخلف، فحيث إنّه سبحانه عالم غير جاهل، وقادر غير عاجز، وغنيّ غير محتاج، وحكيم غير عابث، فإنّه يستحيل عليه أن يَعِدُ ويُخلِف. وأمّا نقلاً فقد قال سبحانه: ﴿...إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ﴾[1]، وحكى عن عباده المؤمنين مخاطِبين له سبحانه: ﴿...إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ﴾[2].

الثانية: إنّه تعالى مع امتناع خُلْف الوعد عليه، وعد بحفظ القرآن مؤكّداً بتأكيدات متعدِّدة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾[3]، وقال أيضاً: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾[4].

الثالثة: لاشكّ في أنّ المراد من الآيات في قوله: ﴿سَأَصْرِفُ...﴾، يشمل الآيات القرآنية قطعاً كما هو المتبادَر، فشموله للمعجزات أو الآيات التّكوينية خفيٌّ غير متبادر.

الرابعة: أنّ القرآن قد وُصف بالعزّ (وهو الغلبة) في قوله تعالى:

١ـ آل عمران: ٩.

٢ـ آل عمران: ١٩٤.

٣ـ الحِجر: ٩.

٤ـ الأعراف: ١٤٦.

﴿...وإنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ* لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولامِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1].

الخامسة: قد حصل ممّا تقدّم أمران محالان يلزمان من القول بوقوع التّحريف ـ معاذ الله ـ:

أ. كونه تعالى مُخلِفاً للوعد وكاذباً فيما وعد!

ب. كون القرآن موصوفاً بخلاف العزّ، وهو المغلوبية!

فبلزوم هذين المحالين تثبت صيانة القرآن، والحمد لله.

طهــارةٌ للأُمّــة بــالعَرَضِ لاتحصلُ إلّا من الذّاتِ، قُضِي

وفيه نكات عديدة:

الأولى: أنَّ أصالة كلّ شيء إنّما هي فيما إذا حُفظ الشّيء عن كلّ ما يُجانِبه ويُغايره، فإذا اختلط بالمغاير والمُجانِب كان فاقداً لأصالته وتلوّث بلوث الغير، إذاً لايبقى طاهرُ الذّات والهويّة، فحينئذ يكون الإنسان محكوماً بهذا الحكم العامّ الجاري.

الثانية: أنَّ حقيقة الإنسان ليست بَدَنه وما يلحق بالبدن من الغرائز، وليس أيضاً وهمه وما يتفرّع عليه. بل حقيقته عبارة عن ما به هو هو، فالّذي يُطلق عليه اسم الإنسان حقيقةً (لامجازاً) هو عقله.

الثالثة: أنَّ للإنسان حقيقةً مُسمّاةً بالعقل أو الفطرة، فالحقيقة

١ـ فُصّلت: ٤١، ٤٢.

واحدة، و إطلاق كلّ من هذينِ الاسمَين إنّما هو باعتبار خاصّ، فمِن حيث إنَّ لها صفاءً وبهاء ذاتيَّينِ يُطلَق عليها اسم الفطرة، ومن حيث تأثّر تلك الحقيقة وانفعالها بالأوهام والغرائز الأجنبيَّينِ لها يُطلَق عليها العقل.

عباراتُنا شتّى وحُسنُك واحدٌ   وكلٌّ إلى ذاك الجمالِ يُشيرُ

وقد تقدّم أنَّ اختلاطها بالأجنبي يوجِب تلوّثها، فيَلزم عندئذ تطهيرها.

الرابعة: لاشكَّ في أنَّ الطّهارة اللّازمة للإنسان إنَّما تكون في اتّصال الإنسان (نَحْوَ اتّصالٍ) بعالَم الغيب الّذي لايوجد فيه ثمّة تلوّثٌ قطّ، لكون جميع المُلَوِّثات في العالم المادّي قويّةً كالغرائز وضعيفة كالأوهام.

الخامسة: لاشبهة أيضاً في أنَّ اتّصال الإنسان بالغيب غير حاصل له ما لم يؤمن بالغيب، وما لم يتّبع الرجال الغيبيِّين وهم الأنبياء والمرسلون الّذين لهم اتّصال بالغيب قويّ على حسب كلٍّ منهم في رتبته؛ قال الله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ...**﴾[1].

السادسة: لايشكّ مؤمن أو مؤمنة (بالغيب) في أنَّ اتّباع الأنبياء في شرائعهم (مع كونها ذات مراتبَ في النقص والكمال) مستحيلٌ،

١ـ البقرة: ٢٥٣.

فللعاقل أن يتّبع الأكمل ويترك غير الأكمل.

السابعة: لاتبقى شبهة لأيّ متتبّعٍ للأديان والشّرائع في أنَّ الإسلام الحنيف أكمل دين وشريعته أكمل شريعة في عالَم اليوم، (لايَسَع المقام لتحقيق الكلام هنا). إذاً إن أراد أحدٌ الخلاص من المُلَوِّثات والأرجاس الغريزيّتَين أو الوهميّتَين فإنّه يجب عليه اتّباع الشّريعة الإسلاميّة لِتَعودَ إليه الطّهارة الذّاتيّة الفطريّة الّتي كانت قبل التّكدّر والتّلوّث، أو تَحصُلُ له الطّهارة العَرَضيّة.

الثامنة: قالت الحكماء: كلُّ عرضيّ لابدّ من انتهائه إلى ذاتيّ. فالطّهارة المقصودة هنا: إمّا أن تكون خفيّةً تحتَ ستور الغرائز والأوهام، فلابُدَّ من كون عامل بروزها (بإزالة الحجب الطبيعيّة) طاهر الذّات، وإن كانت عرضيّة فلابُدَّ من انتهائها إلى الذاتيّة (على حسب قول الحكماء).

التاسعة: يلزم حينئذٍ عاملان لحصول الطهارة المقصودة (عَوْداً أو عُرُوضاً): عامل تعليميّ (وهو القرآن)، وعامل تربويّ (وهو النّبيّ وأوصياؤُهُ المرضيّون)، وهما طاهرا الذّات، وإلّا لاتحصل الطهارة المقصودة. فتحصّل من جميع ما ذُكر ضرورة صيانة القرآن (وكون عصمة الإمام ضرورية).

العاشرة: (وهي آخر النُّكت) تكون الأُمّة الإسلاميّة أطهر الأمم على وجه الأرض بشرط اتّباعها كلا العامِلَينِ المذكورَينِ، لأنّ حصول

الطّهارة لها ناشئٌ من حقيّة الإسلام وأكمليّة الشريعة وصيانة القرآن وعصمة أهل البيت عليهم السلام. فإن لم تكن الأُمّة ـ مُنذُ رحيل النّبيّ صلى الله عليه وآله وحتّى اليوم ـ أطهر الأُمم فإنّما هو لفقدان الشرط المذكور (وهو الاتّباع)، وأنت خبير بأنَّ انتفاء المشروط هو بانتفاء الشرط.

تحريفه مناقض لما وُصِفْ مِنَ الكمالات الّتي بها عُرِفْ

كالنّور والمجيد والكريم والذّكْرِ والرحمة والحكيمِ

هذان البيتان متضمّنان لعدّة نكات:

الأُولى: أنَّ للقرآن كمالات قد وصفه الله بها خلال آيات كثيرة، و إنَّا قد ذكرنا هنا بعضها وأنت تقدر على مقايسة ما لم نذكر منها بما ذكرنا، لِكي يحصل لك التنبّه أكثر فأكثر على بطلان التّحريف.

الثانية: إذا أراد الله من إنزال القرآن فلاح البشر عن كلّ مكروه، وفوزَه إلى كلّ مطلوب، فيجب أن يصف المُنزَل والمُنزَل عليه (أي القرآن والنّبيّ) حتّى لايبقى البشر في عمى، ولا يبقى شخص غير عارف بما يتّبع منه. وقد وصف الله كلَيهما بأوصاف كثيرة كما هي عادته سبحانه في حقّ جميع مَن سبق وما سبق على النّبيّ والقرآن[1].

الثالثة: أنَّ القرآن كما تقدّم ذِكره، وُصف بعدّة أوصاف، كالنّور

١ـ فحيث إنّا لا نبحث هنا في النّبوّة لعدم المناسبة في هذا الكتاب أغمضنا عن ذكر ما وصف الله به النّبيّ صلى الله عليه وآله.

والمجيد والكريم و.... فجميع هذه الأوصاف الكماليّة مذكورة أو غير مذكورة إنَّما تصحّ فيما إذا بقِي القرآن كما نزل، وبقاؤهُ هكذا إنَّما يكون بصيانته عن أيدي المحرِّفين، وإلّا لايكون موصوفاً بأيّ من تلك الأوصاف.

الرابعة: من أوصاف القرآن كونه نُوراً ﴿...وأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبيناً﴾[1]، ونوريّته تتبدّل بالظّلمة لو تحرّف، لأنَّ التّحريف (وهو مظلم) منشَؤُهُ الوهم المظلم ولايكون نوراً (وستقرأ في ما بعد معنا نوريّة القرآن إن شاء الله) .

الخامسة: وُصف القرآن أيضاً بالمجد في قوله تعالى: ﴿بَلْ هو قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[2]. والمراد بالمجد هو العظمة الفائقة على مايَتصوَّرُ كلّ مُتصوِّرٍ من العظمة. ونقيض العظمة الحقارة، فبوقوع التّحريف يكون القرآن غير مجيد لامحالة ـ والعياذ بالله ـ!

السادسة: من أحد أوصاف القرآن كونه كريماً؛ وذلك في قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[3]. والمراد من الكريم هو كلّ شيء له بهاء وكمال ذاتيّان ظاهران منه، وهما (أي البهاء والكمال) يجذبان كلّ قابل إلى موصوفهما كالورودِ والخضروات. فبالقول بتحريف القرآن

١ـ النساء: ١٧٤.

٢ـ البروج: ٢١، ٢٢.

٣ـ الواقعة: ٧٧.

يتبدّل كرمه باللُّؤْمِ، فيكون ـ معاذ الله ـ كتاباً غير كريم.

السابعة: أنَّ القرآن موصوف بكونه ذِكراً في قوله سبحانه: ﴿وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ ولِقَوْمِكَ وسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾[١]. والمراد بكونه كذلك هو تذكير القرآن كلّما ينسى الإنسان ويغفل عن الحقائق الّتي فُطِر عليها، كحُسن العدل وقُبح الظّلم. وهذا الوصف حاصل في القرآن بصيانته، فالتّحريف يكون عاملاً لتشدّد الغفلة والنّسيان فيما لو حُرِّفَ القرآن، فلا يكون ذِكْراً.

الثامنة: وأيضا وُصف القرآن بالرحمة في قوله سبحانه: ﴿ونُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هو شِفاءٌ ورَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ...﴾[٢]. فكونه رحمةً غير ممكن مع تحرّفه؛ لأنَّ المراد بكونه رحمة هو ما يُجلَب ويُحصَّل به أعظم المنافع وأفضلها للمؤمنين به التّابعين لتعاليمه.

التاسعة: وُصف بكونه حكيماً: «والْقُرْآنِ الْحَكِيمِ»[٣]. ومعناه أنَّه كتاب يحتوِي أتمَّ المصالح للإنسان فيما يأمر وينهى. وكلّ عاقل يعلم أنّه يحتوي أتمّ المصالح فيما إذا كان مصوناً من أيّ تحريف، ولاسيّما إذا اعتقدنا (وهو الحقّ) بأنّ الله لاحظ في تعاليمه أعمّ من مصالح الإنسان ونَظَرَ إلى مصالح العالم عامّة، لكون الإنسان أشرف الخلق

١ـ الزخرف : ٤٤ .

٢ـ الإسراء : ٨٢ .

٣ـ يس : ٢.

في العالم، ومصالحه متّصلة بمصالح العالم أجمع.

فتجـــبُ صـــيانةُ القـــرآنِ وعصـــمةُ الإمـــام بالوجـــدانِ
لو وقع التّحريفُ في بعضٍ فلا يُؤمَن في الآخَرِ أن لن يَحْصُلا

هذان البيتان متضمّنان لنكات:

الأُولى: حرف الفاء في البيت تفريعيّ، فيصير معنى البيت هكذا: إذا دلّت الدلائل المذكورة في ما سبق ـ أو إذا كان القرآن موصوفاً بالكمالات التي أشرنا إليها آنفاً، ولزم مِن تحرّفه نقضُ الكمالات وهو محال، تثبت صيانته ـ فيكون ما سبق كأصل وهذا فرع عليه.

الثانية: إذا كان القرآن مصوناً من أيّ باطل، يكون الإمام عليه السلام من أهل البيت معصوماً، لعدم التفرقة بين القرآن والإمام، على ما تواتر من النّبيّ صلى الله عليه وآله في حديث الثّقلَينِ (مع الاختلاف في التّعابير ووحدة المراد)، وينبغي أن يكون ذكر عصمة الإمام عليه السلام ككلام مستأنف لأدنى مناسبة.

الثالثة: مَعيّة القرآن للإمام تُتصوّر من وجوه:

ألف. كونهما حقَّين.

ب. كونهما باقيَين.

ج. كونهما سالمَين.

د. كونهما مُنجيَينِ.

هـ. كون التخلّف عن كلّ واحد منهما أو عن كليهما مُهلكاً.

الرابعة: نستنتج ممّا ذُكر ـ وهو عصمة الإمام ـ صيانةَ القرآن لا محالة للتّقارن بينهما، إذ لو كان القرآن محرّفاً والإمام عليه السلام معصوماً (ولاشك في عصمة إمام كلّ زمان على ما هو مبرهن عليه في محالّه) لبطل التّقارن، وهو محال مع ثبوت المقارنة بينهما وامتناع تفرقةِ كلٍّ منهما عن الآخر.

الخامسة: ذكرُ دليل آخر على المراد، وهو أنْ لو وقع التّحريف في بعضٍ من القرآن، فإنَّهُ يبعث القول بالتّحريف فيه ظنّاً قويّاً على وقوعه في بعضٍ آخرَ، فيسقط جميع القرآن بالكلّيّة عن موقعه الاعتباري.

ما وُعِدَ بِحِفظِه لَيَقتَضِي	يُواجِهُ أَعداءَهُ لا يَختَفِي
كعصمةِ الله النّبيْ ولم يَغِبْ	عن محضرِ الأعداءِ وهو لم يُصَبْ
وما اختَفى عند الوليّ المُنتظرْ	فَهْوَ بعيدٌ مِن عدوٍّ وخَطَرْ
لا يَترَتَّبُ عليه أثَرُ	لا يُهتَدىٰ بِهِ ولا يُعتَبَرُ

نكات هذه الأبيات الأربعة (مع ظهور معنى بعضها) كما يلي:

الأُولى: لا يقول القائل بالتحريف بوقوعه في جميع القرآن، بل يقول: إنّما وقع في الآيات المتعلّقة بإمامة الأئمّة الاثني عشر (وفساده قد أُشير إليه).

الثانية: لو سألْنا القائلَ بالتّحريف: ما تُجيب في آيات الحفظ مع

قولك هذا؟ أليس سبحانه يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١]؟ ألم يَعِد سبحانه صرفه المتكبّرين عن آياته في قوله الرضيّ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾[٢]؟

فهُنا يُجيب: نعم، إنّه تعالى قد وفىٰ بوعده في آيتينِ مذكورتَين، ووفاءُ وعده إنّما هو في حقّ نسخةِ القرآنِ الموجودة عند إمام العصر لا النّسخة الموجودة عندنا.

الثالثة: في ردِّ هذه الإجابة الفاسدة نقول: إنَّ وعده تعالى إنّما يصحُّ في ما إذا كان القرآن في متناول عامّة النّاس، فيَحفظه تعالى كي يكون حفظه هذا وجهاً آخرَ مِن وجوه إعجازه. فإن اختفى القرآن عند الإمام لا يكون حفظه له أمراً هامّاً، ولا يكون إخفاؤُهُ معجزاً كما حَفِظَ نبيَّه ﷺ وهو بين الأعداء والأحبّة؛ قال تعالى: ﴿...واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾[٣]، أي لايهديهم إلى الإضرار بك.

الرابعة: إن قلنا بكون القرآن نسختينِ (وهو كتاب حقّ مبين) فإنّه حينذاك يُشَبَّهُ بالباطل، وهو تَعْديدُ الباطل للأناجيل الأربعة النّصارى. فهل تجوز شباهة الحقّ بالباطل؟!

١ـ الحجر: ٩.

٢ـ الأعراف: ١٤٦.

٣ـ المائدة: ٦٧.

الخامسة: إنَّ كلّ فعلٍ من أفعاله سبحانه ـ ومنها حفظ القرآن ـ لايخلو مِن جعله تعالى أتمَّ المصالح فيه، فبحفظه هذا (أي بإخفاء القرآن) لاتُرى فيه حكمةٌ أصلاً، لعدم تَرتُّب الآثار المُتوقَّعة منه عليه. فالقرآن المُختَفِي عند الإمام، أيُّ أثرٍ يَترتّب عليه حتَّى يكون حفظه بالإخفاء قريناً بالحكمة؟!

السادسة: إن كانت نسخةٌ مِن القرآن عند الإمام عليه السلام مغايرةً للنّسخة الّتي كنّا في محضرها، فلابدَّ وأن تكون مغايَرتُها باندراج نكاتٍ تفسيريةٍ فيها، أو أن تكون جُمعت النّسخة حسَب ترتيب النّزول، وليس هاتان الخصيصتان في نسختنا الكريمة الموجودة عندنا.

إنكارُ أحرارٍ من الأفاضلِ في كلّ عصر وشُذُوذُ القائلِ
يُؤيّدانِ ما ادّعيناهُ فلا تُصْغِ إلى كلامِ مَنْ تَقَوّلا

إيضاح البيتَينِ يتضمّن النكات التالية:

الأُولى: إنكار كلّ ما يُدّعى (صحّته أو بطلانه) إمّا أن يكون بالدّليل أو بغير دليل: فالأوّل مقبولُ كلِّ عالِمٍ فَطِنٍ بل يقبله كلّ عاقل، و إن كان الثّاني فهو مردود عند العلماء بل العقلاء أيضاً.

الثانية: المراد بالأحرار في البيت هم الّذين لم يتأثّروا بغير دليل، كأَنْ يتأَثَّروا بالعصبيّة أو بعقيدة خاصّة أو بالشّرايط الخاصّة الحاكمة على عامّة النّاس أو المتقدّسين أو غير ذلك، بل هم يحكمون بحاقّ

الحقيقة الموجودة وراء الشّرائط والخصوصيّات، وحكمهم ذلك (كما أشرنا) لايكون إلّا بأقوى الأدلّة وأمتن البراهين، فهم الّذين يواجهون الآراء والأقوال ولايعتقدون بأيّ منها ولا يُنكرون أيّاً منها إلّا بما يقتضيه العقل الصّريح والعلم الصّحيح.

الثالثة: إنَّ الأحرار (على ما فسّرنا) في كلّ زمان كثيرون غير قليلين، مع أَنَّهُم الأفاضل، وكلّ منهم بارعٌ في فنّه، ومتوغّل في علمه من التفسير والكلام والحديث والتّاريخ و... فهولاء في كلّ عصر معتقدون جدّاً بصيانة القرآن، كالمفيد والصدوق من السابقين، والآيتين العلّامتين صاحبَي تفسيري الميزان والبيان من المعاصرين(رضوان الله عليهم أجمعين).

الرابعة: فلا يُعْبَأُ بقول القائلينَ النّادرين بخلافه (أي بخلاف القول بصيانته) ولولا توهُّمُ سوء الأدب لَذكرنا بعضهم باسمه.

الخامسة: الفرق بين المؤيّد والدّليل؛ أنّ الدّليل هوما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر(المدّعىٰ أو المدلول) وينكشف الشّيء الآخر به (أي بالدّليل) . ولكنّ المؤيّد هو مايَتقوَّى به الدّليل أوالمدّعىٰ وهنا نقول: لا نستدلّ على صيانة القرآن بكثرة المنكرين للتّحريف وشذوذ القائلين به، بل نؤيّد بطلان التّحريف بالكثرة والشّذوذ المذكورَيْنِ.

السادسة: المراد بالتّقوّل هو القول المصنوع و إسناده باطلاً وكذباً إلى الغير، كما قال تعالى: ﴿**ولَو تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاويلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ**

بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[١]، أي: ولو اختلق النّبيّ أقوالاً وصنعها من قِبَل نفسه وأسندها إلينا لَفعلنا به كذا. فالحاصل: أنَّ القول بالتّحريف قول مختلق مصنوع من أيّ أحد صدر، فهو ممّا لا يُعتنىٰ به.

السابعة: الحاصل أنَّ مُدّعانا هو صيانة القرآن، وقد أسلَفنا بعض أدلّة إثباته، وسنذكرُ بعضاً آخر منها على المراد إن شاء الله تعالى.

مَن قالَ بالتّحريفِ وهو مُسْلِمُ ... مرَدَّدٌ في دِينِهِ لا يَفْهَمُ
بأصلِهِ وفرعِهِ لم يَثِقِ ... فكيفَ يُؤمِنُ وكيفَ يَتَّقِي
ولا له المِيزانُ للعلم بما ... صَحَّ من الأخبارِ عن ما سَقُما

شرح هذه الأبيات الثّلاثة متضمّن لنكات:

الأُولى: (وهي شبيهة بجوابٍ نقضيّ على القائل بالتّحريف) أنَّ كلّ مسلم يجب أن يعتقد بصحّة مآخذه الدينية والشّرعيّة لكي يطمئنّ بصحّة ما يأخذه منها (أي المآخذ)، فلولا هذا الاعتقاد لايُمكن جزمه بصحّة أيّ من مأخوذات الدّين والشّرع، فالقرآنُ مأخذ ومنبع لكثير من الحقائق الدّينيّة والشّرعيّة لكلّ مسلم.

الثانية: القائل بالتّحريف إمّا أن يكون مسلماً أو غير مسلم: فإن كان غير مسلم فلا نتكلّم معه أصلاً في صيانة القرآن أو تحريفه، بل الواجب هو التّكلّم معه في إثبات حقيقة الإسلام والنّبيّ. وإن كان

---

١ ـ الحاقّة: ٤٤-٤٦.

مسلماً فنقول له: من أيّ مأخذ تأخذ العقيدة والخُلُق أو الأحكام العلميّة؟ فإن قال: القرآن أحد مآخذي فيهما، نسأله أيّ قرآن؟ هل هو مصون أو محرّف؟ إن قال: بالأوّل، فقوله هذا يخالف قوله بالتّحريف. وإن قال بالثّاني نسأله: بأيّ دليل وقفتَ على صحّة عقيدتك أو خلُقك (في الدّين) أو عملك في الشّرع؟

فالحاصل: أنَّ هذا المسكين (المخالف لصيانة القرآن) لايزال مردّداً في ما يعتقد أو يتخلّق أو يعمل من غير أن يشعر بتردّده.

الثالثة: في الإجابة عن سؤالٍ، وهو (أي السؤال): أنَّ التردّد الواقع له في عمله صحيح ولكنّه لايصحّ في العقيدة أو الخُلق، لأنَّ العقيدة والخُلُق أمران عقليان ثابتان جامعهما الدّين، بخلاف العمل (الشّرع) الّذي يحكم عليه بما يفوق العقول (هذا تمام السؤال)؟

نُجيب عنه: إنَّ كلّ عاقل إذا تأيّد في العقيدة أو تَقوّى في الخُلُق بدليل نقليّ قطعيّ يحصل له أقوى الاطمئنان والسّكينة. وأمّا إذا كان مؤيّده النّقليّ متزلزلاً في صحّته فإنّه يضعف أطمئنانه (فتدبّر).

فتحصّلَ ممّا ذُكر أنَّ المسلم القائل بالتّحريف لاتخلو نفسه من التّردّد في دينه وشرعه.

الرابعة: وردت أخبار عن الأطهار عليهم السلام (باختلاف الألفاظ ووحدة المضمون) في الأمر بمقايسة كلّ ما نُقِل عنهم عليهم السلام بالقرآن، فجُعِل القرآن بهذه الأخبار ميزاناً للتمييز بين الصّحيح المنقول وغير

الصّحيح، فالمخالف لصيانة القرآن إمّا أن يعتقد بكونه ميزانا أو لا، فمن الثاني يلزم إنكاره هذه الأخبار. ومن الأوّل نقول له: بأيّ قرآن تُوازن وتُقايس؟ لوضوح أنَّ القرآن المحرّف لايكون ميزاناً لأنّه شبيه بأخذِ أعمىً يد أعمى آخر ليهديه إلى مقصده. وإن كان الميزان غير محرّف يثبت مرادنا ويبطل مدّعاك.

لو صَحَّ تحريفُ الكتابِ لاقْتَضَى إلى العوامِ نَقلُهُ ممَّن مَضىٰ
كقصصِ تاريخنا المشتهِرةْ بين الخواصِّ والعوامِ ظاهِرَةْ
فحيث لم يَسْرِ إلى الأنامِ قولٌ به من أَقبح المَرامِ
تلكَ المؤيِّداتُ والأدلّةْ لا تُورِثُ القائلَ إلّا الذّلَّةْ

النكات المشروحة لهذه الأبيات الأربعة كالتالي:

الأُولى: مفاد مجموع الأبيات هو تأييد للصّيانة وبطلان التّحريف، وما تأتي من النّكات تدور حول هذا التّأييد.

الثانية: أنَّ تاريخ كلّ قوم يكون كمخزن لحفظ جميع وقائعهم الجماعيّة. فلا يُمكن فوت أيّ واقعة منها عن المخزن، وله فائدتان:

ألف. أن التّاريخ ضامنٌ لبقائهم كأُمّة مستقلّة.

ب. يكون كمدرسة لأجيال المستقبل لكلّ قومٍ.

الثالثة: أنَّ أهميّة كلّ قضيّة تاريخيّة مَنُوطَةٌ بِسعَة الواقعة وضيقها على الجماعة، فكلُّ واقعة يُنظر فيها إلى سعة تعلّقها بالجماعة، فكلّ ما كان التّعلّق أوسع تكون أهمّيّته أبلغ، فهنا نقول: إنَّ القرآن هو ذو

سعة وصاحب شمول واسع بحيث لايبلغ إليه في السّعة والشّمول شيء بعد النّبيّ ﷺ ، لأنّ القرآن نائب علميّ عن النّبيّ ﷺ ، مضافاً إلى سعته في شتّى المجالات العقيديّة والخلُقيّة والعمليّة في جميع شؤون الأُمّة من القضاء والسّياسة و. . . .

الرابعة: بناءً على هذا التّقرير: إذا كان القرآن محرّفاً (معاذ الله) يلزم استغراق وشمول جميع الأُمّة من الخواصّ والعوامّ في مصيبته وبليّته، أي يلزم إحاطة تلك المصيبة بالرّجال والنّساء والأطفال، بحيث لا تُتصوّر مصيبة أعظم منها بعد مصيبة رحيل من جاء به (أي النّبيّ ﷺ)، ولم نرَ في عصورنا المتقدّمة أو في عصرنا هذا اسماً ولا رسماً من تلك المصيبة المفروضة (ولله الحمد).

الخامسة: يتأيّد ما قلنا (وهو عدم وقوع مصيبة التّحريف) بما تذكرُ كتب التّاريخ من الوقائع المؤلمة أو المبهجة، حتّى إنّه يرجع بعض منها إلى ما قبل الإسلام. فتذكر ـ أيّها القارئ الكريم ـ قصّة مولد النّبيّ ﷺ وما وقع حولها كحادثة أصحاب الفيل وغيرها، وقصّة السّقيفة (بعد النّبيّ ﷺ)، وموت كلّ من الحكّام (المُتَسَمِّين بالخلفاء) وما وقع من الخطايا من كلّ من الخلفاء غير المعصومين، وغير ذلك، ومن الأُمور الّتي لاتعدّ ولاتحصى، ولم يُذكَر للقرآن تحريفٌ.

السادسة: قد أشرنا في ما سبق إشارة إجماليّة إلى أهميّة القرآن المجيد في الأُمّة، فكيف يُتصوّر وقوع التّحريف فيه وبقاء الواقعة في

مكمن الخفاء إلى يومنا هذا، ولم يَطَّلِعْ عليها عامّة الأُمّة. فهل يُمكن أن تكون بليّة التّحريف أصغر من قصّة الفيل أو ما وقع في البُحيرة الفلانيّة أو في الفُرْس أو... .

السابعة: (وهي نتيجة لما تقدّم) أنَّ وقوع التّحريف وخبره حيث لم يَسْرِ إلى العامّة (الأنام) يكون القول به أقبح مرام وأسوأَ عقيدة، لأنَّه مخالف لجميع الأدلّة المذكورة، ومخالف أيضاً لجميع المؤيّدات. فليتذكر القارئ الكريم الأدلّة والمؤيّدات مرّة بعد أُخرى، وليتأمّل فيها كرّة بعد مرّة.

الثامنة: قد ذكرنا في ما سبق الفرقَ بين المويّد والدّليل (فراجع)، وهنا نقول: إنَّ الدّلائل والمؤيّدات المذكورة، إذا تأمّل القائل (بالتّحريف) فيها حقّ التّأمّل منصفاً يعترف ببطلان قوله ويقرّ بالحقّ (الصّيانة) لكون المؤيّدات قويّة والأدلّة متينة.

فما رَوَى القائلُ من نصِّ الخَبَرْ   كسُورَةِ الولايةِ لا يُعتَبَرْ
قد جعل أخبارَه اليهودُ   مِنَ اليهودِ لن يُرى وَدُودُ
إنّا نفيناهُ بقولٍ مطلقِ   كي لا يُظنَّ فيهِ قَوْلٌ بٱلحَقِ

بقيت هنا مسائل حول الأمرينِ الهامّين (وهما الصّيانة والتّحريف):

الأُولى: ربما يُؤيّدُ القائلُ قولَهُ الباطل بحذف سورة الولاية من القرآن. ولكنّا نقول: إنَّ ما يُسمّى بالسّورة يكفي في كونها مجعولة كون عباراتها وألفاظها غير مأنوسة في القرآن، وهذا دليل بارز على جعلها.

أضف إليه أنَّ التّاريخ يشهد بأنَّها من مصنوعات كعب الأحبار اليهودي الّذي تظاهر بالإسلام. وأنت خبير بأنَّ ملّة اليهود أحقد ملّة على الإسلام والأُمّة المسلمة، وكفى بالآيات القرآنيّة دليلاً علىٰ ذلك، فبعض الآيات توبِّخُهُم وتُشَنِّئُهُمْ، وبعض الآيات الأُخَر تنهى المسلمين عن اتّخاذهم أولياء، وعدّة ثالثة تصفهم بأشدّ العداوة للمسلمين، والرّابعة تَنسبهم إلى قتل الأنبياء عليهم‌السلام، وغير ذلك من الخبائث والقبائح كنقض العهود والمواثيق، وإن شئتَ في المقام أكثر من ذلك فراجع كتاب «الدّنيا ملعبة اليهود».

الثانية: أُنظر ـ أيّها القارئ الحُرّ ـ إلى هؤلاء القائلين في أنَّ إيمانَهم بما نقلوا (سورة الولاية) أقوى من إيمانهم بوعد الله لحفظ القرآن وتواتر صيانته.

الثالثة: مرجَع الضّمير في «أخباره»[1] يُحتمل كونه «ما» بمعنى الّذي، أي أخبار السّورة المجعولة، كما يُحتمل كون التّحريف مرجَعاً. أي اليهود صنعوا سورة الولاية أو جعلوا و اختلقوا من عند أنفسهم الخبيثة الأخبار الدالّة على التّحريف وخلطوها بأخبار الأطهار عليهم‌السلام.

الرابعة: إنَّا منكرون للتّحريف بجميع أقسامه إلّا التّحريف المعنويّ، فإنّه (أي المعنوي) منشأ لاختلاق المذاهب الضّالّة والآراء المُضلّة، لأنَّ

---

١ ـ في قولنا: قد جعل أخبارَه اليهود.

القول بصحّة قسمٍ يبعث الظّنّ بصحّة أقسام أُخر. لهذا أنكرناه مطلقاً إلّا ما استُثنِي (أي التّحريف المعنويّ). ومعنى الأبيات ظاهر.

الخامسة: إن وقع التّحريف في القرآن (ولله الحمد على عدم وقوعه) ينبغي أن لا يَشُك فيه أحدٌ (كما أُشير) كما نرى عدم الشكّ في تحريفه المعنوي؛ لأنَّ كلّ طائفة من الأُمّة تنسب نفسها إلى القرآن وتتّهم الآخرين بأنّهم أوقعوا التّحريف المعنويَّ فيه.

حديث ٱلاختلافِ في قراءتِهْ   يُوجب ضَعْفَ القولِ في صيانَتِهْ
فتُؤخَذ القراءة المشهورةْ   وتُجعلُ البقيّةُ مَقْبُورَةْ
لاشكَّ في أنَّ الإمامَ المنتظَرْ   يَرْضَىٰ مِنَ القراءة بمَا اشتَهَرْ
وأنَّ ما هُوَ لَه مقبولُ   فَهُوَ ما أَتى به الرَّسُولُ
لأنَّ ما لا يُعبَأُ بِهِ فلا   يَختلُّ أمرٌ بالذي لا يُعتنىٰ

هذه الأبيات الخمسة (وهي آخر الأبيات في مسألة إبطال التّحريف) متضمّنة لمسائل أُخرى من المسائل اللّاتي بقينَ حول التّحريف، وهي كالتّالي:

الأُولى: عبارةٌ عن اختلاف القراءات في القرآن الواقع بين القرّاء الكوفيين (مثلاً) والبصريين وغيرهم، الذّي نشأ من آحاد القرّاء كابن مسعود وعاصم وغيرهما، المذكور مفصّلاً مع إقامة الحجّة على صحّة كلٍّ من القراءات في بعض التّفاسير كـ«مجمع البيان» للطبرسي.

الثانية: إبقاء موضوع اختلاف القراءات في أمثال «مجمع البيان» يُوجِب ضعف القول بالصّيانة، ويُقوّي القول بصحة التّحريف،

ويبعث الظّنّ علىٰ حقّيّة قول القائلين بالتّحريف. فيجب عقلاً على الأمّة الغيورة على القرآن حذفُه (أي موضوع اختلاف القراءات) من الكتب حتّى لا تبقى مَزَلَّة قَدَم.

الثالثة: فإذاً يلزم بل يجب على المسلمين (عقلاً) الأخذ بقراءة واحدة، وهي الّتي في متناوَل أيدي عامَّة المسلمين. وتُدفن القراءات غير المشهورة كدفن الأموات في القبور، إلى أن يحكم الله تعالى على القائلين بالتّحريف يوم النّشور.

الرابعة: إن سأل سائل: ما دليلكم على صحّة هذا الأخذ وذلك التَّرْك ؟ نجيب عن سؤاله: مقارنة المعصوم بالقرآن، والمعصوم في هذا العصر هو مولانا المفدَّى المنتظر الإمام الثّاني عشر عجّل الله فرجه الشّريف، لنجاة البشر، فهو عليه السلام بقراءته للقرآن المشهور، لا يخلو الأمر إمّا أنّ الأمر (أي القراءات غير المشهورة) ممّا لا يُعيأ به، وإمّا أن يكون هامّاً جدّاً، فمِن الأوّل يستفاد كون المشهورة مرضيّة وأرجح من غيرها، ومن الثّاني يلزم بطلان غير المشهورة لعدم جواز سكوته عليه السلام في ما إذا كانت غير المشهورة هامّة.

الخامسة: حاصل الكلام هو أنَّ القراءة المشهورة مورد تصديق الإمام المعصوم، فتكون هي عين ما جاء به الرّسول صلى الله عليه وآله، وإن كان بين ما جاء به الرّسول وبين ما نحن في خدمته (أي القرآن) مغايرة يَسيرة في اللّفظ بحسب القراءات غير المشهورة.

١٢

(حرف السّين)

مبدأ القرآن ومَنزِله

سـماؤه سـماءُ غيـبِ اللهِ وأرضـه قلـبُ رسـول اللهِ[1]

هذا البيت متضمّن لنكات:

الأُولى: إنَّ لفظة السّماء أُطلقت في القرآن على معانٍ متعدِّدة منها؛ العالَم الغائب فوق عالم المادّة المحسوسة، كقوله سبحانه: ﴿...لا تُفَتَّحُ لَهُمْ (الكفّار) أَبْوابُ السَّماءِ...﴾[2]. وأنت خبير بأنَّ السّماء

١ـ قد ذكرنا في ما مضى (و هنا نذكره مرّة أُخرى لطول الفصل بين الموضعين) أنَّ هذه الأُرجوزة تتشكّل من أبيات مُقدَّميّة و معلّقة و مؤخّرة (كلّ من هذه الطّوائف الثّلاث غير مرتّبة على ترتيب الحروف) و متنيّة. و هذه الأخيرة أُنشدت على حسب ترتيب الحروف، و قد شرحنا المتنيّة حتّى انتهينا إلى حرف الزاء (المعُجمة بنقطة من فوق)، و توقّفنا فيها و أوضحناها و ما تعلّق بها من إبطال التّحريف، والآن فرغنا عنه و نعود ثانياً إلى متن الأبيات من حرف «السين (المهملة)» في بيان فضائل القرآن .

٢ـ الأعراف : ٤٠.

المحسوسة غير مسدودة على الكُفّار، بل المراد منها: لايكون الغيب نسبيّاً ولا الغيب عن الحسّ، بل المقصود هو الغيب النّهائيّ غير القابل للاكتناه، أي العلم الإلهيّ الّذي هو عين ذاته المتعالية؛ لأنّه هو مصدر القرآن. فالمراد من السّماء هو تلك النشأة الغائبة عن جميع القوى الإدراكيّة لكلّ مدرك ممكن.

الثانية: المراد من الأرض هو ما يقابل السّماء المذكورة بمعناها الغيبيّ، وأُريدَ من الأرض قلب النّبيّ المطهّر لتعلّقه بجسمه العنصريّ الشّريف؛ قال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾[١].

الثالثة: لايمكن كون مَنزِل القرآن (وهو الأرض) أن يكون معناه المتعارف (كعدم إمكان ذلك لمصدره المقدّس) للزوم كون القرآن إذاً مادّيّاً، فحيث إنّ القرآن لم يكن حقيقة مادّية يلزم كون أرض نزوله غير مادّيّة كمصدره ليكونا متناسِبَيْن.

١ـ الشعراء: ١٩٣، ١٩٤.

١٣

(حرف الشّين)

مَيز القرآن عن سائر الكُتب

شخوصُهُ البارزُ بين الصُّحُفِ　　كالشّمس ما سواه عنده خفي

هذا البيت محتوٍ علىٰ فضيلة أُخرى للقرآن بالنّسبة إلى الكتب السّابقة، وفيه نكات:

الأُولى: المراد بالصحف هو الكتب السّماويّة السّابقة على القرآن، و إطلاق الصّحف على الكتب واقع، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولى * صُحُفِ إِبْراهِيمَ ومُوسى**﴾[1].

الثانية: أنَّ كلاًّ من القرآن وما نَزَلَ قبلَه يُشبَّه بنيّرة سماويّة، لأنَّ الإنسان كما يحتاج إلى النور الحسّي ليميّز الأجرام والأجسام (لكونه حيواناً) كذلك يفتقر إلى النّور المعنويّ ليُميّز بين الحقّ والباطل غير

١ـ الأعلى: ١٨، ١٩.

المحسوسَينِ (لكونه موجوداً عاقلاً)، و إذا كان فاقداً لذلك النّور يكون في أمر الحقّ والباطل والهداية والضّلالة كالأعمى في المحسوسات، فيختار الكفر على الإيمان، كما يختار ذلك الأعمى الهرّة المطبوخة على لحم الغنم المشويّ.

الثالثة: شخوص القرآن (أي ظهوره وبروزه) من بين الكتب السّماويّة ثابت بالنّقل والتّحليل العقليّ.

أمّا النّقل فقوله سبحانه: ﴿... **ومُهَيْمِناً عَلَيْهِ** ...﴾[1]، وقوله أيضاً: ﴿**هو الَّذى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى ودينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ولَو كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[2]، إذ يستلزمُ ذلك الإظهارُ على كلّ دينٍ شخوصَ القرآن وبروزَهُ على كلِ كتاب.

وأمّا التحليل العقلي فمن وجوه:

ألف. إنّ الصحف السّابقة موقّتة، والقرآن كتاب مؤبّد.

ب. أنَّ كلّاً منها بل جميعها غير جامعة، والقرآنُ جامع للمصالح.

ج. إنّها كمقدّمات والقرآن كنتيجة لجميعها، والغاية أشرف من المُغيّىٰ.

د. أنّها مُحرَّفةٌ، والقرآنُ مصون.

١ـ المائدة : ٤٨.

٢ـ التوبة : ٣٣.

هـ. أنَّها جميعاً ـ أو فرداً فرداً ـ غير مقترنة بمعصوم مع أنَّ المعصوم في كلّ عصر قرين القرآن الموجود، ويمكن لبسط المقال ذكر وجوه أُخرى.

الرابعة: لاشكّ في اختفاء سوابق من الكتب وعدم ظهورها بالنّسبة إلى القرآن على ما تقرّر؛ لكون الضعيف أخفى من القويّ في كلّ أمر محسوس أو غير محسوس، وكونِ القويّ أبرز من الضّعيف وأظهر. وحاصل الكلام عدم التّساوي بينهما فضلاً عن أن تكون السّوابق أبرز من القرآن.

١٤

(حرف الصّاد)

بيان دَور القرآن في رفع خِلافات البَشر عامّةً

صلاحُ ذاتِ البينِ بينَ المللِ ليس سوى القرآن لا بالـدُّوَلِ

هذا البيت متضمن لنكات:

الأُولى: لاشك في وجود التّشاجر بين البشر على سطح الأرض؛ إمّا بين الملل وإمّا بين الدّول، وإمّا بين الدّول والملل. ولاشبهة أيضاً في جِدّ البشر وجهده لرَفْع تلك التّشاجرات، ولكن لم يجدوا حتّى الآن إلى ذلك سبيلاً، لأنَّ كلّ مَن جَدّ وجهد يقترحُ طريقاً على مقتضى منافعه المنظورة، أو لأنّه يكون جاهلاً بحقيقة المصالح العادلة أو لعلل أُخرى.

والكتب النّازلة السّماويّة السّابقة على القرآن لاتُفيد لأنّها مُحرَّفة، ولعدم التفسير الصّحيح لها، أولِعدم دليلٍ متينٍ على حقّيَّتِها (دون تصديق القرآن بها)، فلاجرم يبقى الإنسان حائراً في مجال حياته.

الثانية: القرآن العزيز (خلافاً لما يتصوّره الجاهلون بشأنه) سبب أكمل لعمران بناء حياة البشر في الدّنيا فضلاً عن الآخرة، ويشهد عليه كثير من الأدلّة والاعترافات من المسلمين والأجانب كالمستشرقين. مفاد البيت هو أنَّ القرآن صلاح للبشر عامّة في جميع شؤونهم الفرديّة والجماعيّة من باب «زَيْد عَدْل» دون كونه سبباً للصّلاح.

الثالثة: القرآن ـ كما أشرنا إليه ـ سبب أكمل لحلّ هذه المعضلة لكونه نابعاً عن غيب هذا العالم، ومتأيّداً بالعقل السّليم والأُصول الحِكَميّة غير السّقيمة.

الرابعة: وما ينبغي ذكره هنا هو أنَّ ما وُصف القرآن به من إمكانه وقدرته على إصلاح معضلات البشر عامّة هو من حيث كونه منبعاً علميّاً قانونياً، وأمّا من حيث الإجراء والعمل فلا يمكن ذلك للقرآن، بل المُجْرِي يلزم كونه شخصاً في كلّ زمان عِدْلَ القرآن، وهو من وَصَفَه القرآن (بعد النّبيّ ﷺ) بالعصمة.

الخامسة: وهنا يقع سؤال: إذا كانت يد البشر لاتصل إلى المعصوم المقارِن للقرآن، فأيّ فائدة تترتّب على الإيمان به والعمل بمقتضاه حتّى يكون القرآن صلاحاً لعامّة البشر؟

نجيب عنه: إذا لم يُمكن حصول الكمال بتمامه فلا يمكن ترك

تحصيله بالكلّيّة، كما رُوي: ما لا يُدرَك كلُّه لا يُترك كلُّه[1]، وقيل أيضاً: «الميسور لايسقط بالمعسور»، خصوصاً إذا كان عدم الوصول إلى المعصوم محدوداً موقّتاً، وكان بُدَلاؤُهُ العدول موجودين.

١ـ شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني ٨:٤٣ / الهامش ٦ ـ يراجع: غوالي اللآلي لابن أبي جمهور ٤:٥٨ / الرقم ٢٠٧، وفيه أنّ هذا النصّ الشريف ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام.

۱۵

(حرف الضّاد وما تعلّق به)

بيان بعض المراتب العالية للقرآن

ضَعْفُ مقامِ المُؤمنِ في طُورِهِ   رُقيُّــهُ الكامــلُ فــي ظُهُــورِهِ
كما جرى[1] على الكليم عَيْنا   كَلّمــه اللهُ بطُــورِ سَــيْنا
حريمُـــهُ تَشَـــبَّهَ بـــالطُّورِ   لأنّــهُ النُّــورُ ومَجْلَــى النُّــورِ

هذا البيت يتضمَّن مع المتعلِّقَينِ به (في فضيلة من فضائل القرآن الّتي لاتحصى) عدّة نُكاتٍ:

الأُولى: المراد بالمؤمن هنا هو البشر عامّةً، وما يتعلّق به إيمانه هو العقائد العامّة بين المللية: (أي التّوحيد والنّبوّة والمعاد، كلّ بمعناه المطلق).

الثانية: إنَّ لمؤمنٍ كهذا ثلاث مراتب:

ألف. لإيمانه بما ذُكر ما لم يكن مقصِّراً في تعيين الحقّ (أي

۱ـ الضعف و الرّقيّ.

الإسلام بعينه).

ب. يزيد شأنه في ما إذا حقَّق وعيّن لنفسه الحقّ بعينه، أي آمن بالإسلام، فله (المؤمن) عشر أمثاله لمَّا كان إيمانه حسنة عظمى وفضيلة عُليا[1].

ج. وأرقى منه في ما إذا سَيطرت الحكومة القرآنية على العالَم أجمع، وهو عصر ظهور المهدي بلَّغنا الله تعالى إيّاه.

الثالثة: وقع هذا الرّقيّ بمراتبه الثلاثة لموسى الكليم عليه السلام؛ لأنَّه كان موحّداً أوّلاً، وجُعِل نبيّاً ثانياً، وكلّمه الله في الطّور ثالثاً.

الرابعة: قد أسلَفنا في ما مضى بأنَّ القرآن نور، فلهذا تشبّه حريمه الشّريف بالطّور، فإذاً توجَدُ مشابهة بينه وبين جبل الطّور؛ لأنَّ الكليم عليه السلام رأى فيه نوراً من بعيد فَظَنَّ أنَّه نور من نار، فلمّا وصل إليه ظهر له ما ظهر.

الخامسة: أمّا كونه هو مَجْلَى النّور، فإنّك خبير بأنَّ لكلّ مَجْلَى ومَظْهَر لابدَّ من ظاهر و مُتَجَلٍّ، فحيث إنَّ الله سبحانه نور السّماوات والأرض، و إنَّ القرآن أيضاً أُنزل نوراً مبيناً[2]، فلا بدّ من إظْهارِهِ سبحانه شأنَ النّوريّة في كتابه العزيز، كما قدّمنا في أوّل بيتٍ متنيٍّ للأُرجوزة؛ حيث إنَّه مَجْلىٰ صفات الله تعالى.

١ـ قد وعده الله بـ: ﴿مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمثَالِهَا....﴾ (الأنعام: ١٦٠)، و في آية أُخرى: ﴿مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيرٌ مِنهَا﴾ (النمل: ٨٩).

٢ـ ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبيناً﴾ (النساء: ١٧٤).

١٦

(حرف الطّاء)

بيانٌ لِوَظيفة طالب حقائق القرآن

طالبُـــهُ يجـــبُ أَنْ تَطَهَّـــرا   من دَنَسِ الخَفِيْ وما قَدْ ظَهَرا

تضمّن هذا البيت ذِكرَ فضيلة أُخرى من الفضائل القرآنية، وفيه ثمان نكات:

الأُولى: مضمون هذا البيت مُقتبَسٌ من قوله سبحانه: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وما بَطَنَ والإِثْمَ والْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ...**﴾[١].

الثانية: المراد من قولنا: «يجب» (في البيت) هو الوجوب العقلي الديني دون الوجوب الفقهي الشّرعي؛ لأنَّ الدّين (هو العقائد والأخلاق) غير الشّرع (المقرّرات العلميّة المتعلّقة بالبعد الماديّ للمكلّف).

١ـ الأعراف: ٣٣.

الثالثة: أنَّ للأدناس والأرجاس شدّة وضعفاً في الخباثة، فبعضها أضعف وهو (أي البعض) يقع ويوجد في المقولات الماديّة كقذارة الدّم الشّرعيّة في الثّوب، وبعضها أقوى خباثة وهو ما يعرض في النفس الإنسانيّة من العقائد السّيّئة والأخلاق الرّذيلة، فقذارة كهذه بطيئة الزّوال، وبوجودها تكون النّفس الإنسانية قذرة مظلمة، وبعدمها طاهرة نيّرة (جعلنا الله من المرزوقين بها).

الرابعة: أنَّ للقرآن مراتبَ متعدِّدة لايجب التَّطهّر المذكور في البيت في إدراك بعضها، وهي الرتبة الأدبيّة، أي الصّرف والنّحو والبلاغة واللّغة وغيرها؛ لإمكان وصول الكافر والمؤمن إليها.

الخامسة: أمّا الرتبة الغيبيّة المعنويّة له فهي الّتي يمتنع الوصول إليها إلّا للمتطهّر المؤمن. والمراد بالتّطهّر هو الطّهارة المعنويّة القلبيّة من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويَشهد عليه قوله سبحانه: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ﴾[1].

السادسة: الفَرْق بين حصول المرتبة من القرآن الّتي لاتجب فيها الطّهارة المذكورة، والرّتبة الّتي تجب ذلك؛ هو (أي الفرق) أنَّ الأولى مجعولة اعتباريّة في هذا العالم، ولكنّ الثّانية حقيقيّة غير اعتباريّة ثابتة، فمن تعلّم القرآن وعلّمه في الأولى كان كمن يتعلّم الشّعر لامرئ

١ـ الواقعة : ٧٩.

القيس أو كتاب نحويّ لسيبويه، ولكنّ الثّانية يجب أن يكون الظّرف فيها مناسباً لمظروفه، فتدبّر.

السابعة: إذا كان القرآن بحقيقته (لا بألفاظه وعباراته) نيّراً طاهراً، فإنّه لا تسعه نفس قذرة مظلمة، لعدم المناسبة بين الظّرف والمظروف. فالحاصل: أنَّ طالب حقيقة القرآن يجب عليه أن يكون طاهرَ النَّفْس.

الثامنة: لا تكفي الطّهارة من الأنجاس والأدناس الظّاهرة، كما لا تكفي من الأقذار الباطلة، دون أُختها. ومع الأسف اكتفى بعض النّاس بإحدى الطّهارَتَينِ دون الأُخرى. والسّرّ في عدم كفاية إحداهما هو التّقارن والملازمة بين الدّين والشّرع، وهذا التّلازم يرجع إلى المقارنة التّكوينيّة بين بُعدَي الإنسان المادّي وغير المادّي، مضافاً إلى لزوم الوصول إلى الخلافة الإلهيّة بهذه الطّهارة الجامعة، (فتأمّل).

١٧

(حرف الظّاء)

تعيين زمانٍ أكملِ ظهورٍ للقرآن

ظُهْـرُ طُلُـوعِ الشَّـمس للقـرآنِ   بِفَــرَجٍ لصــاحبِ الزّمــانِ

يلزم في توضيح هذا البيت خمس نكات:

الأُولى: إنَّ لظهور القرآن مراتب حسب اقتضاء الأزمان؛ لأنَّ مَثَل القرآن مَثَلُ الشّمس، تطلع (الشّمس) أوّل الصّبح، وأوّل طلوع شمس القرآن يوم بُعث النّبيّ ﷺ، ويشتدّ نور الشّمس وضياؤُها ويبلغ إلى نهايته وقت الظّهيرة، والقرآن كذلك؛ يبلغ ظهوره في ظُهْرِ ظهور المهديّ عجّل الله تعالى فرجه.

الثانية: توضيح طلوع شمس القرآن يوم بعث النّبيّ ﷺ (وهو السّابع والعشرون من شهر رجب عام ستّ مائةٍ وعشر سنوات بعد الميلاد على حَسَب المَشهور) كان بنزول الآيات الأُولى من سورة العلق المباركة، مبدوءةً من قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذى خَلَقَ ❁ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن عَلَق ❁ اقْرَأْ ورَبُّكَ الأَكْرَمُ ❁ الّذى عَلَّمَ بِالقَلَم ❁ عَلَّمَ

الإِنسَانِ مَا لَمْ يَعلَم﴾[1].

الثالثة: فإن سأل سائل: للشّمس بعد طلوعها غروب، فهل يكون لشمس القرآن غروب؟ نقول: نعم، وهو انتهاء عمر هذا العالم وانقراض زمان التّكليف لبني آدم.

الرابعة: إنَّ المهدويّة العامّة هي عقيدة من العقائد البين المِلليّة الّتي لاتختلف في صحّتها ملّتان من الملل التّوحيديّة، وهي (أي المهدويّة العامّة) ما تدّعيه كلّ ملّة لِمَن توَدُّه أن يكون مصلحاً للبشر عامّة على سطح الأرض. ولكن إذا تأمّلتَ في أدلّة بطلان كلّ ملّة بعد ظهور الإسلام وحقّيّة الإسلام فقط، علمتَ بأنَّ المهديّ لابدّ وأن يكون من خاتمة الملل وأكملها (الإسلام). فيظهر بذلك بطلان مهدويّة كلّ مَنِ ادُّعيَ بأنّه المهديّ عليه السلام كموسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما.

الخامسة: أنَّ كلّ مذهب أصيل صحيح لابدّ وأن ينطبق انطباقاً كاملاً مع الدّين الّذي بُنيَ المذهب عليه. فهنا ظهر لك أنَّ المذهب الّذي يُحكم عليه بالصّحة دون غيره من المذاهب الإسلاميّة، هو مذهب الشّيعة الاثني عشرية. فحينئذ يثبت بأنَّ المهديّ الّذي له المهدويّة العامّة هو من الشّيعة، وهو الّذي تواترت في حقّه الآيات المُأَوَّلة والأخبار المصرِّحة من أهل بيت العصمة، وهو الّذي قلنا في البيت بأنّه صاحب الزّمان عجّل الله تعالى فرجه.

١ـ العلق: ١-٥.

١٨

(حرف العين وماتعلّق به)

إشارةٌ إجماليّةٌ إلىٰ جميع حقائق القرآن

عرفان ما حُقَّ لكَ أن تعرفَا — لايمكن إلّا بقرآنِ اعرفا

وهو عبارةٌ عنِ المسيرِ — والمبدإ والمقصدِ والسَّيْرِ

فالمبدأُ ليسَ سِوَى اللهِ كذا — مَسِيرُك معرفةُ النّبيْ خُذَا

مقصدُك المعادُ للإحقاقِ — سيرُكَ بالأعمالِ والأخلاقِ

لأنَّه يُنبِئُ عن عُمقِ الفِطَرْ — ويَطرُدُ الوهمَ ويبعثُ الفِكَرْ

إنَّ هذا البيت المتني يتضمَّنُ ـ مع الأبيات الأربعة المتعلّقة به ـ إحدى عشرة نكتة:

الأُولى: معنى العرفان، هو أن يعرف العارفُ المعروفَ بعينه بحيث لا يقع فيه اشتباه مع غيره، وهو كما تَرى أكمل من الإيمان الّذي معناه الاعتقاد بوجود الشّيء من أيّ طريق ثبت وجوده ولو لم يعرفه بعينه.

الثانية: أُشيرَ فيها إلى فضيلة أُخرى للقرآن، وهي وجود العرفان الحقيقيّ فيه دون غيره، مع تفصيل ماله (للعرفان) و إقامة دليل جليل للمدَّعىٰ.

الثالثة: لاشكّ في أنَّ البشر عامّةً على مقتضى فطرتهم الأصليّة طالبون للتّعرّف على الغيب (حتّى المادّيين خِلافاً لِما يُظهرون ويُنكرون) ولكنّهم اختلفوا فيه (في الغيب) في مجالات شتّى نحو اختلافهم في منبع حصوله وطريق الظّفر به ونحو ذلك، ﴿...كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[1].

الرابعة: يمتنع كون كلّ عرفان عند كلّ طائفة وقوم حقّاً؛ للزوم اجتماع المتنافيات، وهذا يُنتِجُ أنَّ العرفان الحقيقيّ منحصرٌ في واحد لاغير.

الخامسة: ملاك حقّيّة العرفان وبطلان عرفان غيره هو العقل والفطرة الأصليّة للإنسان، لأنَّه هو الحجّة بالذّات دون غيره.

السادسة: عرفان كهذا لايوجد إلّا في القرآن، فكلّ ما حكم بحقّيّته القرآن فهو عين ما يحكم بحقّيّته العقل.

السابعة: في بيان المعروف بالعرفان المذكور، وهو عبارة عن المعرفة بمبدأ الوجود ومسير أشرف الموجودات (الإنسان) وسيره

١ـ المؤمنون : ٥٣.

ومقصده؛ لأنَّ كلّ ماكان في الكون أو سيكون فوجوده تطفّليّ وتبعيّ للإنسان، فيكون الإنسان (بالأخصّ) والموجودات (بالأعمّ) كمسافر لابدّ له من أربعة أشياء: المبدأ والمسير والسّير والمقصد.

الثامنة: مبدأ الكون هو الله سبحانه، فتجب معرفتُه به وما يجوز عليه وما يمتنع عنه من الأسماء والصّفات (السُّلوب والإضافات). والمسير هو النّبوّة وما يتفرّع عليها، كأفضليّة النّبيّ وعصمته وارتباطه بالنَّشْأة الغيبية، ولزوم الخليفة له بعد رحيله، وجامعيّة شريعته إن كان مَن تُختَم به النّبوّة، وغير ذلك من الفروع. والسّير عبارة عن الأعمال والأخلاق، وفي كلمة واحدة: كيفيّة السّلوك مع الخلق والخالق. والمقصد هو المعاد وما يلحق به، كالمُساءلة في القبر والحياة البرزخيّة والصّراط والميزان، ونحوها من الملحقات.

التاسعة: حكمةُ المعاد هو الإحقاق، كما قال تعالى: ﴿...**ولِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾[1]، وحِكمٌ أُخرى أيضاً (فليطلبها الطالب من غير هذا المختصر).

العاشرة: ذكر دليل على أصل المدّعى (وهو وجود العرفان الحقيقيّ في القرآن لا في غيره)، والدّليل على ذلك هو أنَّ القرآن يُنَبِّئُ الغافلين والجاهلين بحقّيّة كلّ حقّ وبطلان كلّ باطل عن عمق

١ـ الجاثية: ٢٢.

فطرتهم وسويداء قلبهم وعقلهم، لكونه داعياً إلى التّعقّل والتّفكر، وباعثاً على التّجنّب عن الظّنّ والوهم.

الحادية عشرة: في الدّليل على حصر حصول العرفان من القرآن، فنقول صريحاً بعد ما أشرنا إليه تلويحاً: إنَّ كلّ مَأْخَذٍ (لأخذ العرفان منه) غير القرآن فهو إمّا أن يكونَ عقلاً أو علماً أو كتاباً قبل القرآن أو نِحلة من النّحل البشريّة.

فالأوّل (العقل) لا يُعتمد عليه لاختلاطه بالوهم والخيال، وانفعاله عن الشّرائط الخاصّة الزّمانيّة، ونقصانه الذّاتي وضيقه عن إدراك جميع المصالح والمفاسد الدّنيويَّتَينِ والأُخرويَّتَينِ للفرد والجماعة. وأمّا الثّاني (العلم) فلا يعتمد عليه، لإمكان أن يعرض عليه الجهل أو النّسخ أو البطلان والخطأ والنّسيان و... وأمّا الثّالث (الكتاب) فلتحرّفه أو عدم دليل (كالتّواتر والإعجاز) على إثبات صحّته، مضافاً إلى وجود غير معقولات في بعضها (أي الكتب). أمّا الرّابع (النّحلة) فلنُشوئها من الأغراض الخاصّة الوهميّة أو الغريزيّة أو القوميّة أو...

١٩

(حرف الغين وما تعلّق به)

بيان فَرقٍ آخَر للقرآن عن سائرالكتب

غَيَّــرَ غيــرَهُ يــدُ الخَــوّانِ ـ ككُتُـبِ العهـدَينِ ـ والزَّمـانِ
لـم يبقَ برهـانٌ على أيٍّ سوىٰ تصــديقِ قُــرآنٍ وإلّا فَهَــوىٰ

أُشير في هذا البيت والبيت المتعلّق به إلى فضيلَتَينِ للقرآن العزيز في ضمن نكات:

الأُولى: كلّ ما نزل من السّماء من عند الله قبل القرآن تغيّر، ولاشكّ في تغيُّره من وجودِ علّةٍ للتَّغييرِ. فإذاً يلزَم التّعرّف على المتغيِّروالمغيِّر. أمّا المتغيّر فهو عبارة عن الكتب المشهورة الكبار كالإنجيل للنّصارى والتّوراة لليهود والأوغستا لزرادشت (على حسب الاحتمال)، وكذا الرّسائل الصّغار غير المشهورة كالَّتي تُنسَب إلى إرمياء النّبيّ وأشعياء النّبيّ وحيقوق النّبيّ عليهم السلام وغيرها.

وأمّا المغيِّر فهو إمّا بُعْدُ الزمان وطول القرون والأعوام المُخلِقة لها،

و إمّا يد الخوّان، كما أشرنا إلى ذلك في ما تقدّم.

الثانية: عدمُ قيام برهان على حقّيّة أيّ منها (الكتب والرّسائل المذكورتَينِ)، لأنَّ البرهان إمّا عقليّ كتغيّر العالَم وحدوثِهِ المُسْتَدَلّ به بالتّالي لإثبات وجود المحدِث، أو علميّ كالتّواتر، أو عينيّ كالمعجزة.

فإذاً نقول: لايوجد برهان بأقسامه على حقّيّة المنزّلات السّابقة على القرآن، إلّا تصديق القرآن لها إجمالاً، فلو غُضَّ النّظر عن هذا التّصديق الحقيق، لأمكن لنا الحكم ببطلانِ جميعها وكونِها من الهَوىٰ الباطل. ومن التّصديقات قوله سبحانه: ﴿والَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنزِلَ إِلَيْكَ وما أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[١].

الثالثة: أمّا الفضيلتان المذكورتان للقرآن، فهما عبارة عن صيانة القرآن عن أيّ تغيير (ولله الحمد) كما قدّمناه مشروحاً، وكونه معجزاً عينيّاً وحقّيّته ثابتة متواترة بل فوق التّواتر. وهكذا هيمنة القرآن وتصديقه لسوابقه، فنحن متمكّنون بأن نَدّعي أنَّ كلّ ملّة من الملل التّوحيديّة مرتَهَنةٌ بالقرآن والإسلام.

١ـ البقرة: ٤.

٢٠

(حرف الفاء)

بيانُ جامعيّة القرآن للعلوم

فواكِـــهُ العلـــومِ للعُقُـــولِ تُوجَـدُ فـي القـرآن كالسُّـيُولِ

هذا مبيّن لفضيلة من فضائله المنيعة، وفيه نكات:

الأُولـى: لاشـكّ فـي أنَّ فـي القـرآن جَـمَّ العلـوم؛ كمـا قـال تعـالى: ﴿...ولا رَطْـبٍ ولا يـابِسٍ إلَّا فى كِتـابٍ مُبـينٍ﴾[١]، فهـل العلـوم الطّبيعيّـة كالعلم بالبرق والكهرباء فيه أيضاً أم لا؟ يجاب عنه: لـيس على ذلك دليل قاطع، ولكنْ من المحتمل ذلك، فإذاً ما تطمئنّ النّفس به هو العلوم الّتي لها دور ودخل هامّ في تربية الإنسان إنساناً، ونيله مراد الله سبحانه الأسمىٰ في الآخرة والأولى.

الثانية: أنَّ كلّ مسألة من كلّ علم في القرآن تكون كفاكهة (ثمرة)

١ـ الأنعام: ٥٩.

مقوّية لعقل أهل ذلك العلم، كالمسائل الأدبيّة للأديب، وأدلّته (القرآن) للمتكلّم والحكيم اللّبيب، والحقائق العرفانيّة للعارف، وغير ذلك.

الثالثة: لاغَروَ ولاعجب في احتواء القرآن لجميع العلوم، إمّا بالتّفصيل و إمّا بالرّمز والإجمال، كما لاتتعجّب أنت من اندراج كلّ اللّغات في الحروف، فإذن علوم القرآن كالسيول تنهمر على العلماء العارفين.

الرابعة: ما يُقوّي الاحتمال المذكور آنفاً من أنَّ القرآن يحتوي جميع العلوم حتّى العلوم الحديثة، هو عدم المفارقة بين القرآن وأهل البيت ﷺ، فإذا قلنا بأنَّ الأئمّة ﷺ عالمون بجميع العلوم يلزمنا القول في القرآن بذلك، و إلّا لزمت المفارقة المُستحيلة بينهما، وحديث الثّقلين المتواتر يَأْبى ذلك.

٢١

(حرف القاف)

إيضاحٌ لِبَعض أسماء القرآن الشَّريفة

قرآننــا الكتــابُ والمِيــزانُ   والنُّــورُ والمَــوْعِظُ والفُرقــانُ

أشرنا في بيتنا هذا إلى خَمْسٍ فضائلَ من فضائل القرآن، وفيه نكات، وكلّ نكتة مبيِّنة لفضيلة:

الأُولى: أنّ القرآن كتابٌ لاندراج الحقائق الثّابتة غير الزّائلة فيه؛ لأنَّ مادّة «كتب» بمعنى ثبت. وهذا (أي كونه كتاباً) من شؤونه الكماليّة، ولِتَسَمِّيه بالكتاب تشهد آيات كثيرة، كقوله سبحانه: ﴿**ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدىً لِلْمُتَّقينَ**﴾[١].

الثانية: أنّه (القرآن) ميزان، وميزانُ كلّ شيء هو ما يُوزَن به الشيء،

١ـ البقرة: ٢. أقول: لا حاجة لنا إلى تفسير لفظة قرآن بعد وضوح معناها إلى المقروء، و بعد كونها عَلَماً لهذا الكتاب المبارك.

ولاشكَّ في كون القرآن هكذا، ولا منافاة بين كونه ميزاناً وبين كون الأئمّة عليهم السلام موازين؛ كما ورد في حقّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه ميزان الأعمال[١]، لأنَّ القرآن هو الميزان العلميّ، والتّعليميّ، والإمام هو ميزان عَمليّ أو تربويّ[٢].

الثالثة: أنَّ القرآن نورٌ، كما قال تعالى: ﴿**وأَنزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبيناً**﴾[٣]، فنوريّة القرآن تتّضح فيما إذا قلنا بأنَّ للإنسان بعداً غير مادّيّ (كما هو هكذا)، ولبعده هذا عَيْنٌ غير عينه الحسّيّة، والإنسان بتلك العين يرى ما لايرى بعينه الحسّيّة، فإذاً يحتاج إلى نور آخر غير نور الشّمس والقمر وغيرهما. والقرآن هو ذاك النّور، وقد سمّاه الله نوراً في عدّة آيات، منها: ﴿**يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ**﴾[٤]، و﴿**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**

١ـ في (**وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل**) لابن كثير المكّي الشافعي، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأبي ذرّ: «يا أباذرّ، عليٌّ أخي و صِهْري وعَضُدي، وإنّ الله لا يقبل فريضةً إلّا بحبّ عليّ بن أبي طالب» ـ عنه: (**عليٌّ والسنّة**) للسيّد هاشم البحراني: ٤٤. و يراجع أيضاً: (**مقتل الحسين** عليه السلام) للخوارزمي الحنفي.

٢ـ و قد أشرنا إلى ذلك في ما سبق، و سنُشير إليه في ما يأتي إن شاء الله.

٣ـ النّساء: ١٧٤.

٤ـ المائدة: ١٥.

وإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

الرابعة: أنَّ القرآن موعظة باعتبار الآيات التّاريخية والقصص والأمثال المذكورة فيه، لأَنَّهُ تتحوّل بمواعظه عواطف أكثر النّاس الضعفاء العقول[٢].

الخامسة: كونه فرقاناً، أي فارقاً بين الحقّ والباطل في شتّى المجالات الاعتقاديّة والخُلقيّة والعمليّة للفرد والمجتمع دنيويّاً وأُخرويّاً، كما قال سبحانه: ﴿تَبارَكَ الَّذى نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذيراً﴾[٣].

١ـ الشّورى: ٥٢.

٢ـ وإن كان ذوو العقول القويّة أيضاً متّعظين به باعتبار أنّهم ذَوُو عواطف.

٣ـ الفرقان: ١.

٢٢

(حرف الكاف)

بيان فضيلةٍ مِن فضائل القرآن على سائر الكتب

كَفىٰ بفضلِهِ مُهيمنَ الكُتُبْ وناسخاً لها بأَحْسَنِ الرُّتَبْ

مضمون هذا البيت بيان فضيلتَينِ للقرآن على ما سبق من الكتب، وفيه نكات:

الأُولى: كفايةُ كلّ شيء من غيره هي عبارة عن رفع حاجته وقضائها له بقدر اللّازم دون الزّائد، بحيث لايحتاج المَقضيّ له (المكفيّ عنه) إلى شيء آخر. فالحاصل: أنّ فضيلة واحدة للقرآن على سائر الكتب دون فضائله الأُخرى تكفي في كونه ممتازاً عليها (مع كونه ـ ولله الحمد ـ أفضل منها من جهات شتّى) ويمكن أخذ هذه الفضيلة جامعةً لجميع فضائله وامتيازاته عليها.

الثانية: إنّ للقرآن بالنّسبة إلى سائر الكتب فضائلَ كثيرةً من

جهات شتّى؛ فمنها أنّه أبديّ خلافاً لما سبق. ومنها أنّه كالغاية وهي مُغيَّاة، وغيرذلك من الفضائل.

الثالثة: أنّ القرآن مهيمن على سوابقه (ما سبقه من الكتب)، كما قال تعالى: ﴿وأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ ومُهَيْمِناً عَلَيْه...﴾[1]. فإذا كان القرآن مهيمناً (أي مسيطراً ومُسلَّطاً) على الإنجيل تثبت هيمَنَتُهُ على ما قبل الإنجيل بالأَولويّة.

الرابعة: ذُكر في الآية الكريمة الآنفة الذّكرللقرآن (كعدّة أُخرى من الآيات المناسبة) قبل هيمنته على سوابقه، كونه مصدِّقاً، وهذا دليل على حقّيتها الّتي لولا القرآن لَما أمكن إقامة دليل آخرعلى حقّيّة سوابقه (كما ذكرناه مراراً).

الخامسة: توضيح جهات هيمنة القرآن على السّوابق:

ألف. القرآن أبديّ، خلافاً للسّوابق.

ب. لا نقص في القرآن، خلافاً للسّوابق الّتي كلّ واحد منها كامل في زمانه الجاري له، وأكمل ممّا قبله وأنقص ممّا بعده.

ج. إنّه معجِز بنفسه ومثبت بإعجازه حقّيتَه، وليست السّوابق هكذا.

د. القرآن ناسخ لها (غيرمنسوخ). إذ لِكُلٍّ من السَّوابق ناسخان:

١ـ المائدة: ٤٨.

الأوّل: ناسخ شخصيّ وهو الكتاب النّازل بعده، والثّاني ناسخ جُمْليّ وهو القرآن الّذي تُنسخ به جميعها.

هـ. نزل القرآن على أكمل الرُّسل وأفضلهم (بآبائنا هو وأُمّهاتنا وأنفسنا).

السادسة: لاشكّ في أفضليّة كلّ ناسخ بالنّسبة إلى منسوخه، وجدير بالذّكر هو أنّ التّناسخ بين الكتب السّابقة من جهة وبين القرآن وبينها من جهةٍ أُخرى، إنّما هو في الشّرائع (أي القوانين العمليّة) المتعلّقة بالبعد المادّي للإنسان دون العقائد والأخلاق الثّابتَتَينِ غير المتغيّرَتَينِ، المعبَّر عنهما بالدِّين، وإن كان تفسيرُ القرآن لهما (العقائد والأخلاق) أكمل من تفسيرها.

٢٣

(حرف اللّام)

إشارةٌ إلى سعة لغات القرآن

لغاتُـهُ مـن أوسـع اللُّغـاتِ　　　معنـىً فـأخبِرَنْ لكـلّ عـاتِ

هذا البيت مبيّن لفضيلة أخرى من الفضائل القرآنيّة الجمّة، وفيه نكات:

الأُولى: إنّ للقرآن نوعَينِ من الفضائل، وكلّ فضيلة له مندرِجة في واحد من النّوعَينِ، وهما الأدبيّة والمعنوية.

أمّا الأدبيّة؛ فهي جهات الفصاحة والبلاغة واللّغة وغيرها. وأمّا المعنويّة؛ فكطُرق تفسيره وبيان وجوه الإعجاز وغيرها. فَمِن القسم الأوّل ما أُشير إليه في البيت.

الثانية: لاشكّ في أنّ البيان من أهمّ حوائج الإنسان، كما قال تعالى بعد ذكر خلقِ الإنسان: ﴿عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾[1]، واللّسانُ والتّفاهمُ به

١ـ الرحمن: ٤.

(في حياة المجتمع) من أجلى مصاديق البيان.

الثالثة: كثرة اللّغات في أيّ لسان، وسعة المعنى في اللّغات، من أبرز كمالات ذلك اللّسان. فلسان العرب من أكثر الألسُن لُغاتٍ (وهذا ليس بمرادٍ في البيت)، وأوسعها معنىً، وسعة المعاني هي المراد هنا، كما اعترف به المحقّقون من مَهَرَة الألسن كما نرى أسماءً عديدة للماء النّازل من السّماء وقد وُضع كلّ اسم بحسب خصوصيّة معيّنة له، وعدّة أسماء للحيوان المفترس، ونحوه للمركوب المسمّى بـ «الإبل».

الرابعة: أنّ سعةً معنويّةً في اللّغات كهذه (لغة العرب) لها دخل عظيم في درج حقائق واسعة جزيلة، في ألفاظٍ قليلة. وأمرُ القرآن هكذا ولله الحمد.

الخامسة: أنّ كون ألفاظ القرآن عربيّة فيه حكمة عظمى، وهي أن تندرج حقائق المُلك والملكوت والتّكوين والتّشريع في سُوَر معدودة (عددها ١١٤) متشكّلة في لغات محدودة، كما أشرنا في ما قبل إلى إفادة القرآن علماً لا يُحدّ للبشر لو فُرض للبَشَرِ عُمْرٌ أَبَدٌ. فيا له مِن مُحْكَمِ الصُّنع في البيان، ويا عجباً من بلوغ حكمة المنّان.

٢٤

(حرف الميم وما تعلّق به)

توضيحٌ لكون القرآن معجزاً

مُبَيِّنٌ حال القرونِ الخاليَةْ فيا لَهُ من مُعْجزاتٍ عاليَةْ

هو الّذي عن المغيب أخبرا وصار بالمعاجِزِ مُظَفَّرا

مَعْ كون مَن أتى به معلِّماً ما قرأَ الدّرسَ وما تَعَلَّما

هذا البيت متضمِّنٌ ـ مع متعلّقاته ـ لفضيلة أخرىٰ للقرآن أيضاً، مشتملة على النكات التالية:

الأولى: أنَّ الإعجاز مِن كلِّ نبيّ فعلُهُ وهو فيه مأذون من الله تعالىٰ[1]، ولكنّ القرآن معجز وهو فعلُه سبحانه ولا دخلَ لرسول الله ﷺ فيه إلّا الأخذ والتّبليغ.

الثانية: الإعجازُ ـ من أيِّ من الفاعِلِينَ صَدرَ ـ يدلُّ على صدق

١ـ وإن اختلفت الآراء في ذلك.

النّبوّة (وتاليها الإمامة) لأنّه ما لم يتَّصل بالعالم الرّبوبيّ لم يكن له ذلك، فالقرآن معجزة باهرة على الرّسالة الختميّة.

الثالثة: تنقسم المعجزة من حيث الزّمان على قسمَينِ: موقّتَة وخالدة، والقرآن من القسم الثّاني[1].

الرابعة: أنّ القرآن معجز تثبت به الرّسالة المحمّدية ـ صلّى الله على صاحبها وعلى آله ـ إلى آخر الدّهر، وقد عدّ العلماء لإعجازه وجوهاً، ولكنَّ أكثرها في الإعجاز خفيّ أو أخفى، فلا نخوض في نقلها ونقضها، وعندنا أنَّ وجوه الإعجاز البارزة المتينة ثلاثة أوجه:

ألف. أنّ القرآن من حيث الكلام أعجَزَ حُذَّاقَ فنونه، بحيث اختاروا المسايفة والمقاتلة على إتيان مثله.

ب. رُقيُّ قوانينه وحقائقه خارجٌ عن حيطة العلوم البشريّة.

ج. إخباره عن المغيَّبات قبله، المتأيِّد بالتّواريخ والكتب السّابقة عليه كالأقوام الهالكة وقصص أنبيائهم الظّافرة، أو إخباره عن الأزمنة المستقبلة كإخباره بفتح مكّة، وهلاك صناديد قريش الكافرين، وقصّة غلبة الرّوم، وبقاء نسله الشّريف، وزوال الأباتر، وغير ذلك.

١ـ وإن كان لرسول الله ﷺ سواه كثير من المعجزات، ويعتقد الأكثرون بأنْ لا فائدة لمعجزاته بغير القرآن في الأزمنة الآتية بعده، خلافاً لمُعتقدنا، لأنّا قائلون بأنّ المتواترات منها (كانشقاق القمر) مفيدة للعلم و مُثبِتة لحقّيّة الرّسالة في أيّ زمان كان.

الخامسة: أضف إلى ما قلنا أنّ رسول الله ﷺ نشأ في محيط الجاهليّة الّتي لا علم لأُناسها إلَّا الحيوَنَة والشّيطَنة، وهو ﷺ من غير أن يقرأَ درساً أو يتعلّم علماً، صار معَلِّمَ البشر عامّةً.

٢٥

(حرف النّون وما تعلّق به)

إيماءٌ إلى نزولَي القرآن

نزولُــهُ النُّــزولُ بــالتَّجَلّي لا بالتَّجـافي فـافْهَمَنَّ قَـوْلي

قــد وَقــعَ النُّــزُولُ مَــرَّتَينِ منَجَّمــاً ثانيهمــا بــالعَيْنِ

نَــزَلَ بالألفــاظِ والمعــاني على النَّبيّ الخاتِمِ ذي الشّانِ

هذا البيت يدورُ مع المتعلِّقَيْنِ بِهِ حول مسألة نزول القرآن، وفيه نكات:

الأُولى: إنّما أُطلقَ لفظ النّزول في القرآن لكونه جائياً عن عالَم الغيب والملكوت إلى عالَم المُلك والنّاسوت، والغيبُ أعلى مِن الشُّهُود، والمُلك أدنى مِن المَلكوت.

الثانية: نزول كلّ نازل إمّا أن يكون بالتّجافي، وهو في ما إذا نزل النّازل خَلا منه المبدأ ومُلِئَ به المنزل، وهذا النّوع من النّزول لا يُتصوّر إلّا في الأمور المادّيّة ونزول الأجسام، كنزول حَجَر مِن أعلى الجبل

(مِن باب المثل)، فيكون نزول القرآن مِن حيث عدم كونه ماديّاً مِن النوع الثّاني وهو النّزول بالتّجلّي[1]، إذ لم يَخْلُ المبدأ منه بعد النّزول؛ كما قال سبحانه: ﴿بَلْ هو قُرْآنٌ مَجيدٌ * فى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[2]، و﴿وإِنَّهُ فى أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكيمٌ﴾[3].

الثالثة: نزل القرآن مرّتين: دفعيّاً حسب اقتضاء بلوغ الحكمة، وتدريجيّاً على اقتضاء الشّرايط والأحوال. والمراد بلفظ المنجَّم في البيت هو المُفرَّق (وهو النزول الثّاني)، ويُستكشَف مِن تصريحنا في الثّاني بالمنجَّم أنَّ النّزول الدّفعيّ هو ما نزل أوّلاً. وتشهد على هذا التقسيم آيات، منها الآيتان التّاليتان: ﴿وقالَ الَّذينَ كَفَرُوا لَولا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ ورَتَّلْناهُ تَرْتيلاً﴾[4] (هذه الآية المباركة مشيرة إلى النّزول التّدريجي)، و﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[5] (هذه الآية الكريمة مشيرة إلى النّزول الدّفعي).

الرابعة: أنَّ النّزول بالألفاظ والمعاني معاً يختصُّ بالقرآن فقط دون السّوابق، لأنّها نزلت بالمعاني دون الألفاظ. (كما أشرنا إليه سابقاً).

١ـ كما ترى شبحاً لوجهك في الماء وأنت جالس فوق شجرة طويلة.

٢ـ البروج: ٢١، ٢٢.

٣ـ الزخرف: ٤

٤ـ الفرقان: ٣٢.

٥ـ القدر: ١.

٢٦

(حرف الواو و ما تعلّق به)

إشارة إلى مراتب وجود القرآن وبعض المطالب النَّفيسة

وُجُــودُهُ ذُورُتَــبٍ عَديــدةْ ضَــعيفةٌ وســيطةٌ شَــدِيدةْ

فاللَّفظُ والكتْبُ ضعيفُ الرّتْبِ وسيطُهُ مـا ثبـتَ فـي القلـبِ

شـديدُه مـا قَرَّ فـي قلـب الـوَلِيْ كــان رســولاً أو نبيّــاً أو وَصِــيْ

لأنَّ أكمــلَ معانيــهِ حَضَــرْ في قلب موصوف به وما اختَبَرْ[1]

أشدُّ منهُ مَا اختفى عن مُمْكِنِ لا يَقبلُ التّحديدَ بل لَمْ يُمْكِنِ

لأنَّــه حقيقــةُ العلــمِ اعْلَــمِ والعلمُ عـينُ الـذَّاتِ، لا تَكَلَّـمِ

مدار هذا البيت وما تعلَّقَ به من الأبيات الخمسة هو بيان مراتب وجود القرآن، وفيه نكات:

الأُولى: قالت الفلاسفة: إنَّ لكلِّ شيءٍ أربع مراتبٍ مِن الوجود:

١ـ ما نافية.

لفظيّة وكتبيّة وذهنيّة وعينيّة. ونحن اقتبسنا هذه الأبيات مِن تقسيمهم هذا مضافاً إلى مرتبة خامسة.

الثانية: أنّ الوجود اللّفظي والكتبي للقرآن هما أضعف مراتب وجوده، ولانرى بينهما إلّا التّساوي (اللفظيّ والكَتْبيّ)، ولايُرى أيّهما أشدّ مِن صاحبه.

وأنت خبير بأنّ كلّ أثر يترتّب على أيّ مؤثّر، إنّما هو باعتبار كونه موجوداً، ففي الحقيقة، المؤثّر هو الوجود دون الماهيّة الّتي هي مفهوم ذهنيٌّ فقط. فالحاصل: أنّ كلّ مرتبة من الوجود لها أثر خاصّ بها، فظهور أثرِ المرتبةِ الوسيطةِ (لوجود القرآن) عن رتبته الضّعيفة محالٌ، وهكذا في كلّ رتبة.

الثالثة: الرّتبة الوُسطى لوجود القرآن هي عبارة عمّا كان صورتُه اللّفظيّةُ مِن الآيات في قلب مؤمن متعارَفٍ دون معانيه وحقائقه. ووجه اختصاص هذه الرّتبة بالمؤمن هو اعتقاد المؤمن بالقرآن دون تصوّره منه في الذّهن فقط، والكافر والمنافق يتصوّر ألفاظ القرآن ومعانيه اللّفظيّة في الذّهن فقط مِن غير استقرارهما في قلبه.

الرابعة: مرتبة وجوده الشّديدة هي المرتبة السّابقة مع حقائقه ومعانيه الحاصلة القارّة في قلبِ موصوفٍ به، أعمّ مِن أن يكون

الموصوف به وليّاً أو رسولاً أو نبيّاً أو وصيّاً[١].

وكأنّ حقائق القرآن وألفاظه اتّحدت بنفسٍ موصوفةٍ به، فإذا اتّحدت الحقائق بنفسه يَصير علمه بها علماً حضورياً كعلمه بنفسه، فلا يحتاج إذاً إلى استخبار من شخص أو مِن الصّورة الذّهنيّة المطابقة للمعلوم العيني. ولامنافاة بين كون هذه الرّتبة أشدّ في قلب النبيّ الخاتم ﷺ ممّن سِواه؛ لأنّه ـ كما تقدّم ـ ظهر بالتّجلّي في قلبه الشّريف بتجلٍّ تامٍّ مختصٍّ به، نعم كلّ ما كان الوعاء في أيِّ شخصٍ أوسع وأصفى كان ظهور القرآن فيه أظهر وأجلى، وإن كان غير بالغ إلى وعاء الختميّ الشّريف ﷺ.

الخامسة: نهاية مراتب وجود القرآن هو وجوده العلميّ في النَّشأة الرّبوبيّة الغيبيّة، فهذه المرتبة العظمى من حيث كونها عين ذاته سبحانه غير قابلة بل مُستحيلة لأيّ تعريف، ممنوعة أن يُتكلَّم فيها[٢].

هذا البيت الأخير (لأنّهُ...) يكون كتعليلٍ لِما سبقه مِن اختفاء الوجود العلميّ للقرآن عن الممكن.

١ـ مِن غير أن يستخبر الموصوف عن حقائقه مِن غيره لِيعلم.

٢ـ فلايخفى أنّ الوجود العلميّ لأيّ حقيقة يتفاوت بتفاوت العالِم به. فإن كان العالم به ممكناً فهو (الوجود العلميّ) أضعف مِن العيني، وإن كان العالِم واجباً لايُتصوّر فيه هذا الضّعف بل لايتغاير ذلك الوجودُ وُجودَهُ العينيَّ.

٢٧

(حرف الهاء وما تعلّق به)

إشارة إلى كون حقائق القرآن فطريةً

هَـدْمُ بنـاءِ فطـرةِ الإنسـانِ تعطيلُـهُ أَوامـرَ القُـرآنِ
أوكانـت الفطـرةُ لاتنهـدمُ بتَركـه الأوامـرَ تنـثلمُ

هذا البيت والبيت المتعلّق به تُبيِّنُ فيهما فضيلة أُخرى للقرآن، وهي كون حقائقه فطرية، وفيهما نكات:

الأُولى: أنّ للإنسان حقيقة غير مادّيّة ثابتة يُدرِكُ بها الحقائق، وبها يُفرّق بين الحقّ والباطل، ويشتاق بها إلى الأوّل وينفُرُ من الثّاني، وهي (أي تلك الحقيقة) أصل الإنسان، بل هي الإنسان، وقد سُمِّيت تلك الحقيقة تارة بالعقل وتارة بالفطرة.

الثانية: يقال له العقل لأحد وجهين (يمكن الجمع بينهما أيضاً):

ألف. إمّا لما يُعقَل ويُحدُّ به الإنسان، أي تكون الحقيقة عاقلةً ومُحَدِّدة للإنسان كعقال النّاقة. و إمّا بكونها محدودة بالأوهام

والغرائز، فتكونان (الواهمة والغريزة) كعقال لها (تلك الحقيقة).

ب. الفطرة باعتبار عدم تكدُّرها عن كلتَيهما (الغرائز والأوهام)، وبهذا يحصل الفرق بين الاسمينِ لتلك الحقيقة. (وهذا الفرق هو الّذي وصَلْنا إليه ولم يسبقنا إليه أحد، والحمد لله تعالى).

الثالثة: شُبِّهت الفطرةُ في بيت المتن ببناء قابل للانهدام والانثلام، وهو (البناء) قبل وقوع أحدهما قائم مَعمور، كما هو يقبل الهدمَ والثَّلمَ بسبب ما يُضادّه، ولا يُتصوَّر المضادُّ إلّا الغرائز والأوهام.

الرابعة: المُدرَكات الّتي تُدرَك بتلك القوّة القدسيّة كالسّاكنين في البناء، بحيث إذا انهدم البناء لايبقى مِن ساكنِيه أحد حيّاً، فسلامتهم مشروطة بإقامة البناء.

الخامسة: أنَّ في بناء فطرة الإنسان قولَينِ:

ألف. أنّه (البناء) يقبل الانهدام والخراب مِن أصله.

ب. لاينهدم مِن أساسه أبداً.

لكلِّ مِن القولَينِ نوعٌ مِن الدّليل: يَستدلُّ الأوّلون بتشبُّه الكفّار بالأنعام بل هم أضلّ؛ كما قال سبحانه: ﴿...**أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ** ...﴾[1]، بل ببعض الجمادات أيضاً كالأموات كما قال تعالى:

١ـ الأعراف: ١٧٩.

﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى﴾[١]، وأيضاً: ﴿وما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[٢].

ويستدلُّ الآخرون بكون الكفّار مُعترفين بالإلهيّة ومن المقرّين بالمعاد يوم القيامة؛ نحو قوله سبحانه: ﴿قالُوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هذا ما وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[٣].

ونحن نقول: لا منافاة بين خراب البناء وبقاء بعض الأجزاء منه سالماً، فيكون اعتراف الكفّار المذكور بما اعترفوا إنّما هو اعتراف بسلامة تلك الأجزاء.

السادسة: أنَّ مِن فضائِل القرآن البارزة كونَ حقائقه العقيديّة (المعتقدات) والاتّصافيّة الجماعيّة (الأخلاق) فطريّات، وهي الّتي تُسمّى بالدّين (دون الشّريعة، أي المقرَّرات العمليّة المتعلّقة بالبعد المادّي للمكلّفين).

١ـ النمل: ٨٠.

٢ـ فاطر: ٢٢.

٣ـ يسٓ: ٥٢. فأنت تَرى أنّهم يعترفون حين بَعْثِهم مِن القبور بالله سبحانه، وبالنّبوّة عامّة، وبالمَعادِ، وهو ظاهر.

٢٨

(حرف الياء وما تعلّق به)

إشارة إلى مَعيّة الثَّقلينِ وبعض المطالب التّربَويّة

يُقــارِنُ القــرآنَ آلُ المصــطفى — بــه بــلا قَرينِــهِ لا يُكْتَفَــى
كَمــا دَعــا الثّــاني إلــى الإكْتِفــاءْ — مُخالِفــاً لخاتِــمِ الأَنْبِيــاءْ
لِأنّــه منبــعُ تعلــيمٍ عُــرِفْ — ومنبــعُ التّربيــةِ الآلُ وُصِــفْ
فَمَــنْ رَأى التّعلــيمَ دُونَ التّرْبِيَــةْ — عَبَّــرَ عنهــا ربُّنــا بالتّزْكِيَــةْ
لا يَحْصُــلُ الكمــالُ إلّا بهمــا — ولا بِواحــدٍ ولا دُونَهُمــا
تربيــةُ الشــيء تكــونُ صُــنعُهُ — مِــن أَصْــلِهِ وعَــنْ سِــواهُ مَنْعُــهُ
فالصُّــنْعُ والمَنــعُ بفعــلٍ صَــدَقا — تعليمــكَ بــالقولِ قــد تَحقّقــا
تعليمــك يُخَــصُّ بالمُختــارِ — وعمّــتِ الأُخــرى[1] كمــاءٍ جاري
ولا يُربّــي النّــاسَ مِــن فِطْــرتِهِمْ — إلّا هُــمُ هــذا لِمَــنْ بُغْيَــتِهِمْ

١ـ الأُخرى هي التربية.

ويجمــعُ الأمــرَينِ واحــدٌ فــلا تُخَصِّصــنَّ فــاعِلاً وقــابلا

كمــا هــو شــأنُ النّبــيّ الطّــاهرْ أيٌّ مــن الأَمــرَينِ فــيهِمْ ظــاهرْ

وهُــم بِهَــذا الإعتبــارِ أَكمــلُ فُصِّــلَ فــيهِمُ الكِتــابُ المُجْمَــلُ

لــم يُجمَــع الشّأنانِ في الكتــابِ بَــل جُمِــعَ فِــيهِمْ بِــلا ارتِيــابِ

تُــلازِمُ التَّربيّــةُ التَّعليمــا لِمَــن أَرادَ صُــنعَهُ قَويمــا

قــد بُعِــثَ النَّبــيُّ مُربّيــاً كمــا قــد أُرســلَ بِقولِــهِ مُعلِّمــا

وآلُــهُ الأطهــارُ فــي المَقــامِ قــامُوا بِشــأنَينِ بِــلا كــلامِ

هذا البيت (يُقارِن...)، وهو آخر بيت متنيّ للأرجوزة مع متعلّقاته الخمسة عشرة، كُلُّها مبيّنة لفضيلة من فضائل القرآن الحميدة، وحاجة كلّ واحد مِن الثّقلين إلى الآخر، وشرح نكاتها كما يلي:

الأُولى: أنّ بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام مقارنة، فلا ينفك أحدهما عن الآخر على ما سبق ذكره، وهذه المقارنة ليست مِن قبيل الفرض والتّوهم أو الجَعل، بأن جعَل النّبيّ صلى الله عليه وآله كلّ واحدٍ منهما قرين الآخر فقط، بل لكلّ واحدٍ منهما دخلٌ عظيمٌ ودورٌ هامٌّ في الآخر، وهو ما سيتّضح إن شاء الله تعالى.

الثانية: مقارنة كلّ من القرآن والآل مع الآخر من وجوه:

ألف: أنّ القرآن مصون من التّحرّف، والآل عليهم السلام معصومون من الزّلل في القول والرأي والعمل (لله الحمد).

ب: القرآن كتاب علميّ صامت، وهم عليهم السلام كتاب عينيّ ناطق تربويّ، فكما لاينفك التّعليم عن التّربية فكذلك هم عليهم السلام كالمُربِّين

ليسوا بمُنفكّين عن منبع التّعليم (وهو القرآن) .

ج: القرآن نازل من عند الله، وهم ﷺ معيَّنون منصوبون من قِبل الله بنصوصه القوليّة والفعليّة (فراجع في المقام كُتُبَ أهل الكلام).

د: كلّ واحد منهما مكمِّل للآخر؛ حيثُ إنَّ المُراد لا يحصل بواحدٍ منهما دون الآخر.

فحاصل الكلام هو عدم تفرّد القرآن عن الآل ﷺ، ولا الآل ﷺ عن القرآن[1].

الثالثة: لاشكّ في أنّ القرآن كتاب الهداية، وبدونه كانت الأمّة (بل البشر عامَّةً) ضالّةً حيرى، وهذا متّفَق عليه بين المسلمين. وما وقع فيه الاختلاف هو الضّرورة الدّاعية إلى الآل ﷺ وعدمها.

الرابعة: على حسَب قول النّبيّ ﷺ المتواتر (وهو حديث الثّقلَين) لا غَناء عن الآل مع وجود القرآن، ومع ذلك من المأسوف عليه وقوع الاختلاف فيه!

الخامسة: منشأ وجود هذا الاختلاف المنتهي إلى عظيم الانحراف هو الخليفة الثّاني. توضيحه: نقل المخالف والمؤالف عنه (عمر بن الخطّاب) حين قال: حَسْبُنا ـ أوكفانا ـ كتاب الله (أو ما يُشابه هذين التّعبيرين) بعد قول النّبيّ ﷺ حين وفاته: ائْتوني بقلم

١ـ و يمكن فرضُ وجوهٍ أُخر في البين.

ودواة (أو ما يُشبه ذلك) أكتبْ لكم كتاباً لاتضلّوا بعدي[١].

السادسة: هذا البيت (لأنّه منبع...) كذكر تعليل لمضمون بيت المتن في السابق (يقارن) أي: لا يُغني القرآن عن الآل عليهم السلام للمغايرة بين دوره ودورهم عليهم السلام دون العكس، إذ يُمكن اجتماع التعليم والتربية في الآل عليهم السلام[٢].

السابعة: لاشكّ في أنّ اجتماع المقدِّمات بأجمعها يتشكّل منه (من الاجتماع) علّة تامّة، فتكون النّتيجة معلولها. فكون التّعليم كالمقدّمة الأولى والتّربية كالثّانية تكونان معاً علّةً تامّة لحصول الكمال للأمّة، وبدون إحداهما تكون العلّة ناقصة غير منتِجَة. فإذاً لا يَرى أحدُ العِلَّةَ الناقصةَ (أي أحدهما بدون الآخر) كالتّامَّة.

الثامنة: أنّ التّزكية والتّنمية والتّربية متقاربات في المعنى ومختلفات في المفهوم ومتَّحدات مصداقاً. والمراد في قوله سبحانه: ﴿هوالّذى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ ويُزَكِّيهِمْ

١ـ القرائن الموجودة في أخبار عديدة كثيرة تُرشدنا إلى أنّ مراده صلى الله عليه وآله من الشيء الذي قصد كتابته هو الإيصاءُ لآخر مرّة باتّباع أهل البيت عليهم السلام مع الكتاب.

٢ـ و لكن اقتضت الحكمة الإلهية البالغة جَعْلَ القرآن منبع التعليم على حِدَة، وجعل الآل منبعَ التّربية على حِدَة، كما أجملنا الكلام في التّربية في شرح ما تعلّق بالبيت الثّاني (حرف الباء) في الدور التربويّ لأهل البيت عليهم السلام.

ويُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ والْحِكْمَةَ ...﴾[1] هو التّربية.

التاسعة: أنّ لحصول الكمال على معناه الحقيقي طريقاً وحيداً وهو وجود التّعليم والتّربية معاً، المستلزمَينِ للمعلّم والمربّي ووجود التوافق بينهما. فإذاً يستحيل وجود طريق آخر للمراد على ما أشرنا إليه في البيت، كما لايوجد المعلول بعلّته النّاقصة ما لم تَتمَّ علّته.

العاشرة: الحقيقة المجهولة لأَكثر النّاس من العوام وحتّى الخواصّ، هي الفرق الفاحش بين التّعليم والتّربية، وهنا بتعريفنا المنظوم للتربية يخرج التّعليم منها، ويتّضح الفرق بينهما بُعَيْدَ هذا.

الحادية عشرة: أنّ التّعليم والتّربية بينهما فروق (فيكون كلّ واحد منهما مغايراً للآخر)؛ هي:

ألف: أنّ التّربية كانت كأصل والتّعليم فرعها.

ب: تقدُّم التّربية على التّعليم (لأصالتها) كالبِناء والبَنّاء، ومُلوِّنِه ومُزيّنه.

ج: تعُمُّ التّربية بالنّسبة إلى عامّة الموجودات، والتّعليم خاصّ بذوي الإرادات.

د: لايجب كون المربّي ذا شُعُور، بل يمكن أن يكون غيرَ ذي شعور أيضاً، والتّعليم بخلافه.

١ـ الجمعة: ٢.

هـ: يبقى التّعليم إذاً كونه بالقول على الأغلب، ولا يتحقّق بدون القول؛ لأنّه عبارة عن نقل المعلِّم العلمَ إلى المتعلِّم كما قُلْنا في البيت (تعليمك بالقولِ قد تحقَّقا).

الثانية عشرة: عرّفنا التّربية بأنّ تربية كلّ شيء هي عبارة عن أن يُصنع الشيء عن مادّته الأصليّة، ويُمْنَع عن دخول غيرها فيه، كصناعة وردٍ عن حبّته من غير أن يدخل فيه شيء آخر.

الثالثة عشرة: لاشكّ أنّ الصّنع والمنع المذكورين يُعَدَّانِ من مقولة الفعل (كما في البيت)[١]، فتكون التّربية إذاً حقيقة فعليّة، بأيّ نحوٍ كانت، ومن أنحائها عملُ الإمام للمأموم وإراءتِهِ نفسَهُ للمأموم كالمثالِ والنموذج في العمل المنظور، كما قال النّبيّ ﷺ: «صَلُّوا كما رأيتُموني أُصَلِّي».

الرابعة عشرة: فإذا كانت التّربية مع شطريها (أي الصنع والمنع) مِن مقولة الفعل يكون التّعليم غيرها، فإذا كان في تعريف التّربية المنعُ، يَخْرُجُ التّعليم لعدم تصوّر المنع في التّعليم.

الخامسة عشرة: قد تحصّل مِن جميع ما ذُكر جهلُ غير المعصومين وعجزهم عن تربية النّاس الحقيقيّة الباعثة إلى رُقيِّهم ووصولهم إلى أعلى مراتب الإنسانيّة، لخطإ غير المعصوم في تمييز

١ـ و هو قولنا: فالصُّنعُ والمنعُ بفعلٍ صَدَقا.

الفطرة الأصليّة عن الغرائز والأوهام حتّى يمكن له (لغير المعصوم) تربيتهم، فإذا جاز عليه الخطأ لايمكن له منع الأجانب في فعله التّربويّ، فيبقى صنعه ناقصاً، وأهل البيت عليهم السلام من حيث كونهم أئمّة معصومين هم المأمورون بذلك.

السادسة عشرة: قد ذكرنا أنّ أصل الإنسانية هي فطرة الإنسان، وهي المادّة الوحيدة لكون الإنسان إنساناً، وغيرها من الغرائز والأوهام كان أجنبيّاً. وهاهنا نقول على حسب تعريف التّربية الحقيقيّ: ليس للإنسان مُرَبٍّ لأن يتربّى الإنسان بتربية حقيقية إلّا الآل عليهم السلام؛ لأنّهم هم الباقون على فطرتهم الأصلية غير المتأثرة بالأجانب (أي الغرائز والأوهام) هذا أوّلاً. وهم منصوبون من قِبَل الله لتربية النّاس ثانياً. وكونهم حريصين على ذلك ثالثاً. ووصولُ النّاس إلى أعلى الكمالات هي أُمنيّتهم العظمى رابعاً. وهم قادرون على صناعة الإنسان هكذا خامساً.

السابعة عشرة: لايجب من كون المغايرة بين التّعليم والتّربية كون فاعل كلٍّ منها مغايراً لفاعل الآخر، بل اتّحادُ الفاعلَينِ ممكن (قد أشرنا إليه مِن قبل)، كما لايلزم ذلك المغايرة بين القابلَينِ أيضاً.

فيمكن وحدة القابل للتّعلم والتّربيّ معاً، نعم يلزم المغايرة (لا أقلّ) بالاعتبار، أي: فاعل التّربية وفاعل التّعليم تلزم المغايرة الاعتبارية بينهما، كما أنّ المتعلِّم والمتربّي وإن كان مصداقهما

واحداً ولكنّهما في المفهوم متغايران.

الثامنة عشرة: تظهر مغايرة التّعليم والتّربية والتّعلُّم والتّربّي، وإمكانُ الاتّحاد بين المربّيّ والمعلِّم وبين القابلَينِ من قوله سبحانه: ﴿... **لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**...﴾[1]، فأنت ترى الجمع بين التعليم والتّربية في النّبيّ ﷺ (وهو فاعل واحد)، وبين التّعلُّم والتّربيّ في الأمّة (وهي واحدة).

التاسعة عشرة: فالحاصل أنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا ذوي شأْنَي التّعليم والتّربية، فلهم (كما لرسول الله ﷺ) دَوْرانِ في حصول الكمال للأمّة.

العشرون: إن لم يكن المربّي أو المعلّم الحقيقي معصوماً، فإنّه يخطأ في طريق تعليمه أو تربيته، فيَأخُذ إذاً القولَ بدل الفعل أو بالعكس، وفي القول يخطأ في أخذ الحكمة مثلاً بدل الموعظة الحسنة، أو يكون آخذاً الجدال بالأحسن بدل واحد منهما أو بالعكس. ولايمكن أيٌّ من هذه الأخطاء للمعصوم.

الحادية والعشرون: أنّ كون الله تامّاً في أفعاله يقتضي كونه سبحانه تامّاً في لطفه على العباد، وكونه تامّاً في اللّطف يوجِب أن

١ـ آل عمران: ١٦٤.

يُهيِّئَ لهم أجلى الإمكانات وأبلغ الأسباب ليكون العباد أقرب إلى طاعته وأبعد عن معصيته، ولا يمكن ذلك إلّا في المعصوم، وليس معصومٌ بعدالنّبيّ ﷺ إلّا أهل البيت عليهم السلام.

الثانية والعشرون: يقع هنا سؤالٌ في أفضليّة كلّ واحد من الثّقلَين على الآخر، وهي ما أشرنا إليها في قولنا: «وهم بهذا الاعتبار أكملُ...»، أي يُمكن لأفضليّة كلٍّ على الآخر اعتبارات عديدة، ولكنَّ الآل أفضل مِن الكتاب باعتبار جمع الشّأنَينِ فيهم عليهم السلام؛ إذ لا يُمكن كون الكتاب منبعاً للتّعليم والتّربية معاً؛ إذ التّربية حقيقة عمليّة صادرة من عامل، والعملُ من الكتاب ممتَنِع الفرض.

الثالثة والعشرون: ما يُؤيِّد ذلك أمرُ أمير المؤمنين عليه السلام جُندَهُ بترك المصاحف المنصوبة واتّباعهم نفسَه الشَّريفة في القتال (ولكنّهم مع الأسف تخلّفوا وانخدعوا)، فنستنتج أفضليّة الإمام على الكتاب؛ إذ لوكان الكتاب أفضل لما أمَرَ المعصوم بتركه والرجوع إليه عليه السلام، إذ هو المبيّن للكتاب، وهو الكتاب الناطق.

الرابعة والعشرون: إن قلنا بأنَّ التَّفصيلَ أكملُ من الأجمال (كما هو هكذا) لكون التَّفصيل مُتَضَمّناً للإجمال دون العكس، يَظهرُ المدَّعى.

الخامسة والعشرون: قد قدَّمنا وجود الملازمة بين التّعليم والتّربية كاملَينِ، وهنا نُصَرّحُ بذلك في البيت ثانياً (تلازم التّربية تعليما...)

لِكون الكلام هامّاً جدّاً. وهذا ـ أي كون الصّنع قويماً ـ كفرعٍ يَتَفرَّعُ عَلَى كونِ صُنع اللهِ للإنسان قَويماً خاصّةً: كما قال سبحانه: ﴿**لَقَد خَلَقنَا الإِنسَانَ فِى أحسَنِ تَقويمٍ**﴾[١]، وكونِ صُنعهِ تعالى في خلقِ كلِّ شيءٍ قَويماً عامّةً؛ كما قال سبحانه: ﴿**رَبُّنَا الَّذِى أَعطَى كلَّ شَىءٍ خَلقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾[٢].

السادسة والعشرون: قد تَقَدَّمَ ذكرُ إمكان جمعِ التّربية والتّعليم في شَخصٍ واحدٍ، وهنا نقول: إنَّ النّبيّ ﷺ فُوِّضَ إلَيه مِن قِبَلِهِ تعالى الأمرانِ معاً، فالّذين يقومون مَقامَه هم كذلك. فَلَو اختَلَّ فيهم أَحدُ الأمرين يكونون غير قائمينَ مقامَه. (نعوذ بالله مِن القول بذلك)

السابعة والعشرون: الدَّليلُ الّذي يُثبتُ جمعَ شَأْنَي التّربيَة والتَّعليم في النَّبيّ ﷺ قائمٌ بِعَينِه في الآل أيضاً، وهو (الدّليل) العِصمةُ والمَأموريةُ والرَّأفةُ والرَّحمةُ والحرصُ على الهدايَة، وغيرُ ذلك...

١ـ التين: ٤.

٢ـ طه: ٥٠.

ختم الكتاب حول النّاظم وآثاره

أَنشـــدَ هـــذه علـــيْ النّظـــاميْ   لعلّـــه يُـــذْكَرُهُ فـــي الكـــرامِ
مِـــن بَعـــدِ موتِـــهِ بـــذكرِ خَيْـــرِ   رجـــاءَ أن يُحْبَـــى بخيـــرِ ذكْـــرِ
أنشدها مُلبّياً بالدَّعوةِ (أومُلبّيا في مكةِ)   فـي ثالـث الأيّام مـن ذي الحجّةِ

أنا الّذي أنشد هذه الأرجوزة، ولي أشعار وأراجيز أخرى باللُّغتين الفارسيّة والعربيّة، فهذه بعض تلك، كما أنّ لي تأليفات نثراً ونظماً باللّغتينِ، وهي كالتّالي:

ألف. المعارف الرّافعة في شرح الزيارة الجامعة.

ب. تعليقات كثيرة على الكتاب المستطاب شرح الباب الحادي عشر.

ج. سيماى ائمه عليهم السلام در شرح زيارت جامعه‌ى كبيره.

د. شرح نوين بر كلمات قصار أميرالمؤمنين عليه السلام.

هـ. سيماى دين در آيينه‌ى عقل ونقل.

و. گنج رباعى.

ز. شرح مثنوى عفيف.

ح. گلزار عفت.

هذه كلّها مطبوعة. وأمّا غير المطبوعة فهي كما يلي:

ألف. شرح دعاى أبوحمزه ثمالى.

ب. شرح زيارت عاشورا.

ج. هزار رباعى.

وُلِدتُ سنة ١٣٢٦ (هـ.ش) في قرية «قاسمآباد» قرب مدينة همذان، وبعد سنة نُقلتُ إلى المدينة. ونشأتُ فيها حتّى بلغ سنّي سبع سنين، ولكنّي فقدتُ بصري بعد قليل من ولادتي، ودخلتُ في السّنة السّابعة من عمري في مدرسة ابتدائية باسم «دبستان فيضي». كنتُ مشتغلاً بدراسة القرآن وبعض الكتب الرّثائيّة والمديحيّة لأهل البيت عليهم السلام من الدواوين الشّعرية. ثمّ دخلتُ بعد سنين في الحوزة العلميّة بإذنٍ من قبل والديّ. فدرستُ حتّى درس الخارج في الفقه، وكان بعض أساتذتي: سماحة آية الله العظمى آخوند ملّا عليّ المعصومي، آية الله الشّيخ نوح نجفي، آية الله الشّهيد مدني، آية الله بهاري. وحجج الإسلام: الشّيخ علي الأنصاري، الشّيخ هادي التّألّهي، السّيد مصطفى الهاشمي، وغيرهم ممّن تتلمذت عندهم أعلى الله قدرهم ونوّر قبورهم جميعاً.

وأمّا اشتغالي؛ فقد شرعت في التّبليغ والوعظ والخطابة بعد قلائل سنين، وكنت من بدء تبليغي حُرّاً ولله الحمد، وفي السّنوات الأخيرة

حتّى الآن بادرتُ إلى تأليف الآثار المتقدّمة، ومعه التّدريس ولاسيّما تدريس الكتب الكلاميّة، وكذا إقامة صلاة الجماعة. وخاتمة الكلام: لم تتيسَّر لي المهاجرة من المدينة لطلب العلم، ولله الحمد على ما قضى وله الشّكر على ما قدّر. «وصلّى الله على خير خلقه وآله المطهّرين».

انتهت كتابة هذه السّطور في اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٣٢(هـ.ق) الموافق لأوّل شهريور من سنة ١٣٩٠ (هـ.ش). صلوات الله على المهاجر فيها وعلى آله المعصومين.

الأحقر علي النظاميّ

المصادر

١) **القرآن الكريم**.

٢) **بحار الأنوار**، للعلّامة المجلسيّ، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٤هـ.ق.

٣) **تفسير الصافي**، للمولى محسن الفيض الكاشانيّ، مكتبة الصدر، طهران، ١٤١٦هـ.ق.

٤) **غرر الحِكم ودرر الكلِم**، لعبد الواحد بن محمّد التميميّ الآمديّ، انتشارات دفتر تبليغات، قم، ١٣٦٦ هـ.ش.

٥) **الكافي**، لثقة الإسلام الكلينيّ، دار الكتب الاسلاميّة، طهران، ١٣٦٥ هـ.ش.

٦) **مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة**، لمحمّد تقي النقويّ القائنيّ الخراسانيّ.

٧) **نهج البلاغة**، وهو ما انتخبه و رتّبه الشريف الرضيّ من خُطب و كتب وحِكم أمير المؤمنين عليه السلام وكتبه، دار الهجرة، قمّ المقدّسة.

٨) **نهج الفصاحة**.